

الجزء الثانى من كتاب

امالى السيد المرتضى

الشريف أبى القاسم على بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفي سنة ٤٣٦ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالى ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي)

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسمعيل)

بسم الله الرحمن الرحيم

[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن الخبر المروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك .. وعما يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن قلب آدمي إلاّ وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى فاذا شاء أن يثبته ثبته وان شاء أن يقلبه قلبه .. وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ماكان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقالت قلت يارسول الله ماأكثر دعائك يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا أُم سلمة مامن آدمي إلاّ وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عزوجل ماشاء أقام وما شاء أزاغ .. فقال ماتأويل هذه الأخبار على مايطابق التوحيد وينفي التشبيه أو ليس من مذهبكم ان الأخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولاتطابق العقول لايجب ردها والقطع على كذب راويها إلاّ بعد أن لايكون لها فى اللغة مخرجٌ ولا تأويل وان كان لها ذلك فباستكراه أو تعسف ولستم ممن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار فما تأويلها .. الجواب ان الذى يعوّل عليه من تكلم فى تأويل هذه الأخبار هو أن يقول ان الأصبع فى كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإبله أصبع حسنة أي قيام وأثر حسن .. قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله

ضَعيفُ العَصا بادِي العُرُوقِ تَرَى لهُ ... عليْها إذَا ما أجْدَبَ النَّاسُ إصْبَعا

.. وقال طفيل الغنوي يصف خلاً

كُمَيْتٍ كَرُكْنِ البابِ أَحْيَ بَناتِهِ مَقالِيتَها فاسْتَحْشَمَتْهُنَّ إِصْبَعُ

•• وقال لبيد بن ربيعة

مَنْ يَبْسُطِ اللهُ عليهِ إِصْبَعا بالخيرِ والشَّرِّ بأَيٍّ أُولَعا[١]

يَمْلأْ لهُ منهُ ذَنوباً مُتْرَعا

•• وقال حميد بن ثور

أَغَرُّ كلونِ البَدْرِ في كلِّ مَنْكِبٍ مِنَ النّاسِ نُعمى تَحْتَذِيها وإِصْبَعُ

•• وقال آخر

وأَرْزَناتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبَنْ ذُو إِصبَعٍ في مَسِّها وذُو فِطَنْ

•• وقال آخر

أَكْرِمْ نَزارًا واسْقِهِ المُشَعْشَعا فإِنَّ فِيهِ خَصَلاتٍ أَرْبَعا

حَدًّا وجُودًا ونَدًى وأَصْبُعا

والأصبع في كل ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والنعمة فيكون المعنى مامن آدمي إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين •• فان قيل هذا قد ذكرتما حكيتم إلا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية ههنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى •• قلنا يحتمل أن يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لانهما كالجنسين أو كالنوعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بان عرفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم مالهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل •• ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالأصبع هو من حيث يشار اليه

---

(١) أنشده في اللسان في مادة ص ب ع

من يجعل الله عليه إصبعا في الخير أو في الشر يلقاه معا

بالأصبع اعجاباً به وتنبيهاً عليه ومعنه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له به علقة وقد قال قوم في بني طفيل والراعي أنهما أرادا أن يقولا يداً في مكان الأصبع لان اليد النعمة فلم يمكنهما فعدلا عن اليد الى الأصبع لانها من اليد وفي الأصبع التي هي الجارحة ثمان لغات • أَصبَع بفتح الألف والباء • وأَصبِع بفتح الألف وكسر الباء وأُصبُع بضم الألف والباء • وأُصبَع بضم الألف وفتح الباء • وأُصبوع بضم الألف مع الواو • وإصبِع بكسر الألف والباء • وإصبَع بكسر الألف وفتح الباء • وإصبُع بكسر الألف وضم الباء •• وفي هذه الأخبار وجه آخر وهو أوضح مما ذكر وأشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها وتصرف كنايتها وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع الإخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها والفعل فيها عليه جلت عظمته ودخول ذلك تحت قدرته ألا ترى انهم يقولون هذا الشيء في خنصري وأصبعي وفي يدي وقبضتي كل ذلك اذا أرادوا تسهيله وتيسره وارتفاع المشقة فيه والمؤنة وعلى هذا المعنى يتأول المحققون قوله تعالى (والأرضُ جميعاً قبضتُهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ مطوياتٌ بيمينِهِ) فكأنه صلى الله عليه وسلم لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة وان كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه فقال انها بين أصبعين من أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدماً على الوجه الأول ومعتمداً عليه لانه واضح جلي •• ويمكن أن يكون[1] في الخبر وجه آخر على تسليم مايقترحه المخالفون من ان الأصبعين هما المخلوقتان من اللحم

(١) لايخفى ان هذه الأجوبة لامدخلية لها في السؤال ولو كانت فليس ذلك محلا له لان البحث والسؤال ومحلهما في معنى تصريفها كيف شاء واذا شاء أن يثبته ثبته وان شاء أن يقلبه قلبه وما شاء أقام وما شاء أزاغ وأمثالها في أمثال معنى هذا الحديث الشريف مما هو صريح في الجبر ورفع التكاليف فان هذا هو الداء العضال وموضع انفصام العقول العقال لافي معنى الأصبع وجواز قراءة الأصبوع مما لايسمن ولا يغني من جوع اه من هامش الأصل

والدم استظهاراً في الحجة واقامة لها على كل وجه وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الأصبعين يحركه الله تعالى بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله تعالى وان كانت جميع أفعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة لانه لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقيل انهما أصبعان له من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره إنما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفرداً عما يجاوره غيره تعالى فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم ان الأصابع ههنا اذا كانت محمولة على ظاهرها فهي جوارح له تعالى وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد •• وعلى المتأول أن يورد كل ما يحتمله الكلام مما لا تدفعه حجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة والوضوح ونحن نعود الى تفسير ما لعله أن يشتبه من الأبيات التي استشهدنا بها •• أما قوله ـ حسناً وجوداً وندى وأصبعاً ـ فمعنى الحسنة النعماء والنفاذ وقول الآخر ـ وأرزناب ليس فيهن أبن ـ فالأرزنات العصي والأبن العقد •• فأما قول حميد بن ثور ـ في كل منكب من الناس ـ فالمنكب الجماعة والمنكب الناحية •• وأما معنى أبيات لبيد فانه أراد من يسق الله اليه خيراً أو يصرف عنه شراً فعل ذلك به وأسبغ له حتى يأتي منتهاه •• فأما بيت طفيل الغنوي فمعناه ان هذا الفحل الذي وصفه بانه كميت وانه كركن الباب لتمامه وشدته لما ضرب في الابل التي وصفها عاشت أولادها التي هي بناته بعد ان كن مقاليت والمقلاة التي لا يعيش لها ولد فكان هذا منه أثراً جميلاً عليها •• فأما بيت الراعي فمعنى قوله ـ ضعيف العصا ـ يريد انه قليل الضرب لها أو لانه لا يحوجه سدادها وتأوّدها أو لشفقته عليهن وهذه كناية في نهاية الحسن واختصار شديد لانه قد يجوز أن يكون ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها في الضرب فيختارها قوية ويجوز أن يكون حذف وأراد ضعيف حمل العصا •• وقوله ـ بادي العروق ـ يعني عروق رجليه لفسادها من السعي في أثر هذه الابل وأراد ـ بالأصبع ـ ان له عليها في جدب الناس أثراً جميلاً لحسن قيامه وتعهده •• وقد قيل انه انما سمي الراعي لبيت قاله في

هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذى أنشدناه وهو

لها أمرُها حتّى إذَا ماتبوَّأت … بأخفافها مأوىً تبوَّأ مَضجَعا

هذا قول الأصمعي •• وقال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضاً

هِدَانٌ أخو وَطْبٍ وصاحبُ عِلبةٍ … يَرَى المَجْدَ أنْ يَلقي خِلاءً ومَرْتَعا

وروى عن بعض بني نمير انه قال انما سمي بذلك لقوله

تَبِيتُ مَرَافِقُهُنَّ فوقَ مزلَّةٍ … لاَ يَستطيعُ بها القُرَادُ مقِيلا

فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت والله ماهو إلاَّ راعي إبل فبقيت عليه •• وقال محمد بن سلام انما سمي الراعي لكثرة وصفه الابل وحسن نعته لها واسمه عبيد بن حصين بن جندل وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح

مجلس آخر ٢٣

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) ما المراد بالنفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله (ويحذركم الله نفسه) أو يخالفه أو يطابق معنى الآيتين والمراد بالنفس فيها مارواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عزوجل اذا أحب العبد لقائي أحببت لقاءه واذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه واذا تقرب الىَّ شبراً تقربت اليه ذراعاً واذا تقرب الىَّ ذراعاً تقربت اليه باعاً أو لايطابقه •• الجواب قلنا ان النفس في اللغة لها معان مختلفة ووجوه في التصرف متباينة •• فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدها خرج عن كونه حياً ومنه قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) •• والنفس ذات الشيء الذى يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله •• والنفس الأنفة من قولهم ليس لفلان نفس أي لا أنفة له •• والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في كذا أي ارادته •• قال الشاعر

فنفساي نفسٌ قالتَ أنتَ ابن بجدلٍ ... تجد فرجاً من كلّ غمٍّ تهابُها

ونفسٌ تقولُ أجهد نجاءك فلا تكنْ ... كخاضبةٍ لم يغن شيئاً خضابُها

ومنها أن رجلا قال للحسن البصري يا أبا سعيد لم أحجج قط فنفس تقول لي حج ونفس تقول لي تزوّج فقال الحسن أما النفس فواحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول تزوّج وأمره بالحج •• وقال الممزق العبدى ويروى لمعقر بن حمار البارقى

ألاَ من لعينٍ قد نآها حميمُها ... وأرّقني بعد المنام همومُها

فباتت لها نفسان شتّى همومُها ... فنفسٌ تعزّيها ونفسٌ تلومُها

•• وقال النمر بن تولب العكلي

أمّا خليلي فإني لستُ معجلهُ ... حتى يؤامر نفسيه كما زعما

نفسٌ لهُ من نفوس القوم صالحةٌ ... تعطي الجزيل ونفسٌ ترضعُ الغنما

أراد انه بين نفسين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل لان البخيل يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدي اليه ومنه قيل لئيم راضع •• وقال كثير

فأصبحتُ ذا نفسين نفسٍ مريضةٍ ... من الناس ما ينفكُّ همٌّ يعودُها

ونفسٍ ترجّي وصلَها بعد صرمها ... تجمّلُ كي يزداد غيظاً حسودُها

•• والنفس العين التي تصيب الانسان يقال أصابت فلاناً نفس أي عين •• وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي فيقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك وداء هو فيك من كل عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد •• وقال ابن الاعرابى النفوس التى تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان والله حسوداً نفوساً كذوباً •• وقال عبيد الله بن قيس الرقيات وهو قرشى

يتّقي أهلُها النفوسَ عليها ... فعلى نحرِها الرُّقى والتميمْ

•• وقال مضرس الفقعسي

وإذا عموا صمدا فليس عليهم ... منا الخيال ولا نفوس الحسد

•• وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فاسلم سلمت من المكاره والردى ... وعثارها ووقيت نفس الحسد

••والنفس أيضاً من الدباغ بمقدار الدبغة يقول اعطنى نفساً من دباغ أي قدر ما أدبغ به مرة ••والنفس الغيب يقول القائل إنى لا أعلم نفس فلان أى غيبه وعلى هذا تأويل قوله تعالى (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) أى تعلم غيبى وما عندى ولا أعلم غيبك ••وقيل ان النفس أيضاً العقوبة من قولهم أحذرك نفسى أى عقوبتى وبعض المفسرين يحمل قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) على هذا المعنى كأنه يحذركم عقوبته •• وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرين قالوا معنى الآية ويحذركم الله إياه •• وقد روى عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) ما ذكرناه من التأويل بعينه •• فان قيل ما وجه تسمية الغيب بانه نفس قلنا لا يمتنع أن يكون الوجه فى ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد فى ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل فيه انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه عليه الصلاة والسلام ولا أعلم ما فى نفسك من حيث تقدم قوله تعالى (تعلم ما فى نفسى) ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء أن يقول أنا لا أعلم ما فى نفس الله تعالى وان حسن على الوجه الأول ولهذا نظائر فى الاستعمال مشهورة مذكورة •• فأما الخبر الذى يرويه السائل فتأويله ظاهر وهو خارج على مذهب العرب فى مثل هذا الباب معروف ومعناه ان من ذكرنى فى نفسه جازيته على ذكره لي واذا تقرب الىّ شبراً جازيته على تقربه الىّ وكذلك الخبر الى آخره فسمى المجازاة على الشيء باسمه اتساعاً كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها • ويمكرون ويمكر الله • الله يستهزىء بهم) •• وكما قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ونظائر هذا كثير في كلام العرب ولما أراد تعالى المبالغة في وصف مايفعله به من الثواب والمجازاة على تقربه بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعاً وذراعاً اشارة الى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها

مجلس آخر ٢٤

[تأويل آية] .. ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى (إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوبُ الحناجر وتظنون بالله الظنونا) وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن أي شئ زاغت الأبصار وبأي شئ تعلقت ظنونهم بالله تعالى .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه .. منها أن يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادرهم ومن شأن الجبان عند العرب اذا اشتد خوفه أن تنتفخ رئته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سحره أي رئته وليس يمتنع أن تكون الرئة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الحنجرة وهذا التأويل قد ذكره الفرّاء وغيره ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .. ومنها قيل ان القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع .. قال الشاعر

كأنَّ قلوبَ أدِلاَّئِها ... مُعلَّقةٌ بقُرُونِ الظِّباءِ

.. وقال امرؤ القيس

ولاَ مِثْلَ يَوْمٍ في قَدَارَانَ ظَلْتُهُ ... كأنّي وأصحَابِي علي قَرْنِ أعفَرَا

ويروى في قدار ظللته أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وانما خص الظبي لأن قرنه أكثر تحركا ونشاطاً واضطراباً لنشاطه ومرحه وسرعته .. وقد قال بعض الناس ان امرأ القيس لم يصف شدة أصابته في

هـذا البيت فيليق قوله على قرنِ أعفرا بالتأويل المذكور بل وصف أماكن كان فيها مسروراً متنعماً ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت بلا فصل

أَلاَ رُبَّ يومٍ صالِحٍ قدْ شهِدْتهُ ... بتاذِفَ ذَاتِ التَلِّ منْ فوْقِ طَرْطَرَا

فيكون معنى قوله على قرن أعفرا على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي وهـذا القول لابن الاعرابي والأول للاصمعي •• فأما قول الآخر

أَلاَ قلّ خيرُ الشّانِ كيفَ تغيّرا ... فأصبحَ يرْمي النّاسَ عنْ قرْنِ أعفرا

فلا يشتمل الا الشدة والحال المذموم ويجوز أن يريد ان الناس فيه غير مطمئنين بل هم منزعجون قلقون كأنهم على قرن ظبي ويحتمل انه يطعنهم بقرن ظبي كقولك رماه بداهية ويكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال عن قرن أعفرا وهو يريد بقرن أعفرا وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معاً فيكون معنى الآية على هـذا التأويل ان القلوب لما اتصل وجيبها واضطربت بلغت الحناجر لشدة القلق •• ومنها أن يكون المعنى كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة فألقى ذكر كادت لوضوح الأمر فيها ولفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الحطيم

أتعرِفُ رَسماً كالطّرازِ المُذَهّبِ ... لِعمْرَةَ وَحشاً غيرَ موْقِفِ راكِبِ

دِيارَ التي كادَتْ ونحنُ على مِنًى ... تحلُّ بنا لوْلاَ نجاءُ الرّكائبِ

معناه قاربت أن تحل بنا وان لم تحلل في الحقيقة •• وقوله ــ غير موقف راكب ــ فيه وجهان أحدهما انه ليس بموضع يقف فيـه راكب لخلوه من الناس ووحشته والآخر أن يكون انه أراد وحش إلاّ أن راكباً وقف به يعني نفسه •• وقال نصيب

وقدْ كِدْتُ يوْمَ الحزْنِ لما ترَنّمتْ ... هتوفُ الضُّحى محزُونةٌ بالترَنُّمِ

أموتُ لِمبْكاها أسىً إنّ لوْعتي ... ووَجدِي بِسُعْدَى شَجوُهُ غيرُ مُنجمِ

معنى ــ المنجم ــ المقلع •• وقال ذو الرمة

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقتي ... فمازلتُ أبكي عندَهُ وأخاطبُهْ
وأسقيهِ حتَّى كادَ مِمَّا أَبُثُّهُ ... تُكلِّمُني أحجارُهُ وملاعبُهْ

وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة وقد أدخلت العرب على كاد جحداً فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان أجودهما قام عبد الله بعد ابطاء ولأي ومثله قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي بعد ابطاء وتأخر لأن وجد ان البقرة عسر عليهم •• وروى انهم أصابوها ليتيم لامال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهباً فقال تعالى (وما كادوا يفعلون) إما لانهم لم يقفوا عليها أو اغلائها وكثرة ثمنها •• والوجه الآخر فى قولهم مايكاد عبد الله يقوم أى مايقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لاحكم لها وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) أى لم يرها أصلاً لانه عز وجل لما قال (أو كظلمات فى بحر لجيٍّ يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ظلماتٌ بعضها فوق بعض) كان بعض هذه الظلمات يحول بين العيون وبين النظر الى اليد وسائر المناظر فيكد على هذا التأويل زيدت للتوكيد والمعنى اذا أخرج يده لم يرها •• وقال قوم معنى الآية اذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر لتكاثف الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزائدة •• وقال آخرون معنى الآية اذا أخرج يده لم يرد أن يراها لان ما شاهده من تكاثف الظلمات آيسه من تأمل يده وقرر فى نفسه انه لا يدركها ببصره •• وحكى عن العرب أولئك أصحابى الذين أكاد أنزل عليهم أي أريد أن أنزل عليهم •• وقال الشاعر

كادَتْ وكِدْتُ وتلكَ خيرُ إرادَةٍ ... لوْ عادَ منْ لَهْوِ الصَّبابةِ مامَضَى

أي أرادت وأردت •• وقال الأفوه الأودى

فإنْ تَجَمَّعَ أوْتادٌ وأعمِدَةٌ ... وسا كِنٌ بلَغوا الأمرَ الَّذِي كادُوا

أى أرادوا •• وقال بعضهم معنى قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف) أى أردنا ليوسف •• وقال الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف •• ومما يشهد

لمن جعل لفظة يكد زائدة في الآية •• قول الشاعر

سَرِيعٌ إلى الهيجاءِ شاكٍ سِلاَحهُ فما أنْ يَكادُ قِرْنُهُ يَتنفَّسُ

أي فما ان يتنفس قرنه ويكاد مزيدة للتوكيد •• وقال حسان

وتَكادُ تَكسَلُ أنْ تَجيءَ فِرَاشَهَا في جِسْمِ خَرْعَبةٍ وحُسْنِ قَوَامِ

ومعناه وتكسل أن تجيء فراشها •• وقال الآخر

وإلاَّ ألومُ النَّفسَ فيما أصابَني وإلاَّ أكادُ بالَّذي نلتُ أنجحُ

أي لا أنجح بالذي نلت ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً •• وروى عبد الصمد بن المعذل بن غيلان عن أبيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة فأنشدنا بالكناسة وهو على راحلته قصيدته الحائية التي يقول فيها

إذا غيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينَ لمْ يَكَدْ رَسيسُ الهوَى مِنْ حُبِّ ميَّةَ يَبرَحُ

فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال

إذَا غيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينَ لمْ أجِدْ رَسيسَ الهوَى مِنْ حُبِّ ميَّةَ يبرَحُ

قال فأخبرت أبي بما كان من قول ذي الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال أخطأ ذو الرمة في رجوعه عن قوله الأول وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا كقوله عزوجل (اذا أخرج يده لم يكد يراها) أي لم يرها •• فأما قوله عزوجل (إن الساعة آتية أكاد أُخفيها لتُجزى كل نفس) فيحتمل أن يكون المعنى أريد إخفاءها لكي تجزي كل نفس بما تسعى ويجوز أن تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية أُخفيها لتجزى كل نفس •• وقد قيل فيه وجه آخر وهو أن يتم الكلام عند قوله تعالى (إن الساعة آتية أكاد) ويكون المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى (أخفيها لتجزى كل نفس) •• ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابئ البرجمي

هَمَمْتُ ولمْ أفعلْ وكِدْتُ وليتَني تَرَكْتُ على عثمانَ تبكي حلائلُهْ

أراد وكدت أفعله فحذف الفعل لبيان معناه •• وروى عن سعيد بن جبير انه كان يقرأ

أكاد أخفيها فمعني أخفيها على هذا الوجه أظهرها •• وقال عَبْدَة بن الطبيب يصف ثوراً

يَخْفِي التُّرابَ بأَظلافٍ ثمانيةٍ   في أَربعٍ مَسُّهُنَّ الأَرضَ تَحْليلُ

أراد انه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه •• وقال امرؤ القيس

فإنْ تدفنوا الدّاءَ لاَ نُخْفِهُ   وإنْ تبعثوا الحرْبَ لاَ نقعُدُ

أي لا نظهره •• وقال النابغة

تَخْفِي بأَظلاَفِها حتّي إذَا بلَغَتْ   يُبْسَ الكَثيبِ تَدَاعَى التُّرْبُ فانْهَدَما

وقد روى أهل العربية أخفيت الشئ بمعنى سترته وأخفيته بمعنى أظهرته وكأن القراءة بالضم تحتمل الأمرين الاظهار والستر والقراءة بالفتح لا تحتمل غير الاظهار واذا كانت بمعنى الاظهار كان الكلام في كاد واحتمالها للوجوه الثلاثة التي ذكرناها كالكلام فيها اذا كانت بمعنى الستر والتغطية •• فان قيل فأي معنى لقوله إني أسترها لتجزى كل نفس بما تسعى وأظهرها على الوجهين جميعاً وأي فائدة في ذلك •• قلنا الوجه في هذا ظاهر لانه تعالى اذا ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا الى فعل الحسن والقبيح مترددة واذا عرفنا وقتها بعينه كنا ملجئين الى التوبة بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به فصار ما أريد به من المجازاة للمكلفين بسعيهم واتصال ثواب أعمالهم يمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم فأما اذا كانت لفظة أخفيها بمعنى الاظهار فوجهه أيضاً واضح لانه تعالى انما يقيم القيامة ويقطع التكليف ليجازي كُلاً باستحقاقه ويوفي مستحق الثواب ثوابه ويعاقب المسيء باستحقاقه فوضح وجه قوله تعالى (أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) على المعنيين جميعاً [قال المرتضى رضي الله عنه] •• وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على جواب من أجاب في قوله تعالى (وبلغت القلوب الحناجر) بان معناه كادت تبلغ الحناجر ويقول كاد لا تضمر ولا بد أن يكون منطوقاً بها ولو جاز ضمرها لجاز أن يقال قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله لان معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم وهذا الذي ذكره غير صحيح ونظن ان الذي حمله على الطعن في هذا الوجه

حكايته له عن ابن قتيبة لان من شأنه أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وان اسف في الطعن عليه والذي استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر في مواضع ويقتضيها بعض الكلام وان لم تكن في صريحه ألا ترى انهم يقولون أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح وما أشبه ذلك ومعنى جميع ماذكرناه المقاربة ولا بد من اضمار كاد فيه .. وقال جرير

إنَّ العيونَ التي في طرْفها مَرَضٌ قتلننا ثمَّ لمْ يحْيِينَ قتلانَا

وانما المعنى انهن كدن يقتلننا فهذا أكثر فى الشعر والكلام من أن نذكره وليس يمتنع فأما قوله يحيين قتلانا فالأظهر في معناه انهن لم يزلن يفعلن ماقاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك وسمى هذه الأمور حياة كما سمى اضدادها قتلا وقد قيل ان معنى يحيين قتلانا انهن لم يدين قتلانا من الدية لان دية القتيل عند العرب كالحياة له وقد روى ثم لم يحيين قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الأمر على ماذكرناه لم يمتنع أن يقال قام فلان بمعنى كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت .. فأما قوله فيكون تأويل قوله قام عبد الله لم يقم عبد الله خطأ لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله وأراد كاد يقوم فقد أفاد مالا يفيده لم يقم .. وأما قوله تعالى (زاغت الأبصار) فمعناه زاغت عن النظر الى كل شيء فلم تلتفت إلا الى عدوها ويجوز أن يكون المراد بزاغت أي جارت ومالت عن القصد فى النظر دهشاً وتحيراً .. فأما قوله تعالى (وتظنون بالله الظنونا) معناه انكم تظنون مرة انكم تنصرون وتظهرون على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى ان ظنونكم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصرة وشكوا فى خبره عزوجل كما قال تعالى حكاية عنهم (ماوعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً) وظن المؤمنون ماطابق وعد الله تعالى لهم كما حكى عزوجل عنهم فى قوله (هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) وكلا ذكرناه واضح فى تأويل الآية وما تعلق بها

مجلس آخر ٢٥

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتاً) فقال اذا كان السبات هو النوم فكأنه قال وجعلنا نومكم نوماً وهذا مما لافائدة فيه .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه .. منها أن يكون المراد بالسبات الراحة والدعة .. وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كلهم كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله تعالى أمر بني اسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال قيل وأصل السبات التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلته من العقص وأرسلته .. قال الشاعر

وإنْ سَبَتَتْهُ مالَ جَثْلاً كأنهُ سدَاوَاهلاَتٍ من نوَاسِجِ خَثْمَا

أراد إن أرسلته .. ومنها أن يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت أيضاً الحلق يقال سبت شعره سبتا اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السبتية التي لا شعر عليها .. قال عنترة

بَطلٌ كأنَّ ثيابَهُ في سَرْحةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليسَ بتوأمِ

ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتي فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم سباتاً أي قطعاً لأعمالكم وتصرفكم .. ومن أجاب بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى القطع .. وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة ان الله ابتدأه في يوم الأحد وكان الخلق في يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول أهل التوراة .. وقال آخرون ان الابتداء كان في يوم الاثنين الى السبت وفرغ في يوم الأحد وهذا قول أهل الانجيل .. فأما قول أهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان يوم السبت واتصل الى يوم الخميس وجعلت الجمعة عيداً فعلى هذا القول الآخر يكون

أن يسمي اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الأرض •• فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله تعالى خلق البريّة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحـد •• ومنها أن يكون المراد بذلك إنّا جعلنا نومكم سُباتاً ليس بموت لان النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت فأراد تعالى أن يمّن علينا بان جعل نومنا الذي يضاهي فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا بمخرج لنا عن الحياة والادراك فجعل التأكيد بذكر المصـدر قائماً مقام نفي الموت وسادّاً مسـد قوله تعالى وجعلنا نومكم ليس بموت •• ويمكن أن يكون في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو أن السُبات ليس هو كل نوم وانما هو من صفات النوم اذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصف بكثرة النوم انه مسبوت وبه سُبات ولا يقال ذلك في كل نائم واذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله (وجعلنا نومكم سُباتاً) مجرى أن يقول وجعلنا نومكم نوماً ••والوجه في الامتنان علينا بان جعل نومنا ممتداً طويلا ظاهرٌ وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لان التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئاً من الراحة بل يصحبهما في الأكثر القلق والانزعاج والهموم وهي التي تقلل النوم وتنزره وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح ••[قال المرتضي] رضي الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الانباري يطعن على الجواب الذى ذكرناه أوّلاً ويقول إن ابن قتيبة أخطأ في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سباتٌ ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح وأراح ويعتمد على الجواب الذى ثنينا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت المرأة شـعرها ان معناه أيضاً القطع لان ذلك انما يكون بازالة الشداد الذى كان مجموعاً به وقطعه •• والمقدار الذى ذكره ابن الانباري لا يقدح في جواب ابن قتيبة لانه لا ينكر أن يكون السـبات هو الراحة والدّعة اذا كانتا عن نوم وان لم توصف كل راحة بانها سُبات ويكون هـذا الاسم يختص الراحة اذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء واذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أن السُبات لا يكون إسماً للراحة عند النوم

والذي بقي على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر أو لغة فان البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال ٠٠ فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه أخيراً قلنا الفرق بينهما بيّن لان ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجعله عبارة عنها وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا أن يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عليه حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس السبات إياها بعينها على ان في الجواب الذي اختاره ابن الأنباري ضرباً من الكلام لان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات مثل هذا البناء الى سمع عن أهل اللغة وقد كان يجب أن يورد من أي وجه اذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك

[تأويل خبر] ٠٠ ان قال قائل ما تأويل الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه ٠٠ وفي رواية أخرى ان الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه ٠٠ وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضاً فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه ٠٠ الجواب أنّا اذا كنّا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبح من أخذه أحد بذنب غيره وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فلا بد أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة الى ما يطابقها ٠٠٠ والمعنى في الأخبار التي سئلنا عنها ان صحت روايتها انه اذا أوصى موص بأن يناح عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فانه يعذب بالنياحة عليه وليس معنى يعذب بها انه يؤاخذ بفعل النواح وانما معناه أن يؤاخذ بأمره بها ووصيته بفعلها وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم ٠٠ قال طرفة بن العبد

فإنْ مُتُّ فانعيني بما أنا أهلُهُ ... وشُقّي عليَّ الجَيْبَ يا أمَّ معْبَدِ

•• وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة

فمَنْ يَكُ سائلاً عن بيتِ بشرٍ ... فإنَّ لهُ بجنبِ الرَّدْمِ بابا

ثوى في مُلْحَدٍ لا بُدَّ منهُ ... كفى بالموتِ نأياً واغترابا

رَهينُ بِلىً وكلُّ فتىً سيبلى ... فأذري الدَّمعَ وانتحبي انتحابا

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودى فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره •• وقد روى ابن بكار هذا الخبر أيضاً عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أخبرت بروايته وَهَل أبو عبد الرحمن كما وَهَل يوم قليب بدر إنما قال عليه الصلاة والسلام ان أهل الميت ليبكون عليه وانه ليعذب بجرمه •• [قال المرتضى] رضى الله عنه يعنى ــ وَهَلَ ــ أي ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وَهَلت الى الشئ فأنا أهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه أهل وهلاً أي نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلاً اذا فزع والوهل الفزع •• فأما ــ القليب ــ فهي البئر والجمع القلب •• قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يُناديهم رسولُ اللهِ لما ... قذفناهمْ كباكبَ في القليبِ

ألمْ تجدُوا حديثي كانَ حقًّا ... وأمرُ اللهِ يأخُذُ بالقلوبِ

•• وقال آخر يبكي على قتلى بدر من المشركين

فماذا بالقليبِ قليبِ بدرٍ ... منَ الفتيانِ والشربِ الكرامِ

وماذا بالقليبِ قليبِ بدرٍ ... منَ الشيزَى يُكلَّلُ بالسَّنامِ

وموضع وَهله في ذكر القليب انه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ثم قال انهم ليسمعون ما أقول فأنكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه الصلاة والسلام انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت أقوله لهم هو

الحق واستشهد بقول الله عز وجل (إنك لا تُسمِع الموتى) وأهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم •• وروى عن عبد الله ابن مسعود أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قائماً يصلي بمكة وأُناس من قريش فى حلقة فيهم أبو جهل بن هشام فقال ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التى نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث أشقى القوم وأنا أنظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله لو كانت لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة رضوان الله عليها عليه وهي يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رؤسهم فأوسعتهم شتماً قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك حتى انه ليطارح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلّم النبى صلى الله عليه وسلم أقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا عليهم أُسقط في أيديهم قال فوالله الذي لا إله غيره ما سمى النبي صلى الله عليه وسلم أحداً إلاّ وقد رأيته يوم بدر وقد أخذ برجله يجر الى القليب مقتولا وقوله — فيأخذ سلاها — أي جلدتها التى فيها ولدها ما دام فى بطنها والجمع الأسلاء •• وقال ابن حبيب الأسلاء التى فيها الأولاد •• قال الأخطل

وَيَطْرَحْنَ بالثَّغْرِ السِّخالَ كأنّما يُشَقِّقْنَ بالأسلاءِ أرْدِيَةَ العَصْبِ

•• وقال الشماخ

والعِيسُ دَامِيةُ المَناسِمِ ضُمَّرٌ يَقذِفنَ بالأسلاءِ تحتَ الأرْكُبِ

•• قال الفراء سقط في أيديهم من الندامة وأُسقط لغتان وهو بغير ألف أكثر وأجود •• ويمكن أن يكون في قوله يعذب ببكاء أهله وجه آخر وهو أن يكون المعنى ان الله تعالى اذا أعلمه ببكاء أهله وأعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والهم تألم بذلك فكان عذاباً له والعذاب ليس بجارٍ مجرى العقاب الذى لايكون إلاّ على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيراً بحيث يستعمل الألم والضرر ألا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتدأه بالضرر والألم قد عذبتني بكذا وكذا كما يقول أضررت بي وآلمتني وانما لم يستعمل

العقاب حقيقة فى الايلام المبتدأ من حيث كان اشـتقاق لفظه من المعاقبة التى لابد من تقدم سبب لها وليس هذا فى العذاب

[تأويل خبر] •• ان سأل سائل عن الخبر الذى يرويه أبوهريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يدخله عمله الجنة وينجيه من النار قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل يقولها ثلاثاً •• فقال أليس في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليـه ومذهبكم بخلاف ذلك •• الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى ألطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو أخرج الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد ان أحداً لا يدخل الجنـة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا أرشده اليـه وهذا هو الحق الذى لا شبهة فيه •• فأما الثواب فما تأبى القول بانه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذى هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شئ ابتداء وانما يجب عليه ما أوجبه على نفســه فالثواب مما كان أوجبه على نفســه بالتكليف وكذلك التمكين والالطاف وكلما يجلبه ويوجبه التكليف ولولا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب •• فان قيل فقد سمي الرسول عليه الصلاة والسلام ما يفعل به فضلا فقال إلاّ أن يتغمدني الله برحمة منه •• وفضل قلنا هذا يطابق ماذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذى ذكرناه وان حملنا قوله عليه الصلاة والسلام برحمة منه وفضل على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي أيضاً فضل وتفضل لان سببها غير واجب •• فأما قوله عليه الصلاة والسلام يتغمدني الله فمعناه يسـترني يقال غمدت السيف فى غمده اذا سترته •• قال الشاعر

نَصَبْنَا رِماحاً فوقَها جَدُّ عامرٍ ... كظلِّ السَّماء كلَّ أرضٍ تغمَّدَا

ــ فالجد ــ هنا البخت والحظ وشبه ما قسم لعامر من الغلبة والظفر بظل السماء الذى يستر كل شئ ويظهر عليه •• أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن حنيفاء قال أخبرنا أبو عبد الله محمـد بن أحمد الحكيمي قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد

ابن يحيى ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الاعرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرهم الله والمبهور هو المكروب وأنشدنا

أَبرَزُوها مِثلَ المَهاةِ تَهادَى ... بينَ خَمسٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَابِ

ثُمّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا ... عدَدَ القَطْرِ والحَصَى والتُّرابِ

[قال المرتضى] • • رضى الله عنه وقد قيل في معنى قوله بهراً غير هذا الوجه • • أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني أحمد بن يحيى السولي قال حدثنا القاسم بن اسماعيل قال حدثنا الثوري عن أبي عمر الأسدي قال سمعت أباعمرو بن العلاء يقول عمر بن ربيعة حجة في العربية وما أخذ عليه شئ الا قوله ـ ثم قالوا تحبها قلت بهراً ـ وله فيه عذر ان أراد الخبر لا الاستفهام كأنهم قالوا أنت تحبها على جهة الاخبار منهم لا الاستفهام فوكد هو إخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهراً يجوز أن يكون أراد ثم حباً بهرني بهراً ويكون أيضاً بمعنى عقراً وتعساً ودعا عليهم إذ جهلوا من حبه لها مالايجهل مثله • • وأنشد أبو عمرو بن العلاء

لَحَا اللّهُ قومي إذْ يَبِيعونَ مُهْجَتِي ... بجارِيَةٍ بَهْرًا لهمْ بَعْدَها بَهْرَا

• • قال أبو عمرو يكون بهراً بمعنى ظاهراً يريد حباً ظاهراً من قولهم قمر باهر • • وقد روى بعض الرواة انه قال ـ قيل لي هل تحبها قلت بهراً ـ والرواية الأولى هي المشهورة ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي من جملة أبيات منها

مَنْ رَسُولي الى الثُّرَيَّا بأَنّي ... ضِقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِها والكِتابِ

وهيَ مَكْنونةٌ تَحَيَّرَ منها ... في أَديمِ الخدَّينِ ماءُ الشَّبابِ

سَلَبَتْني مُجَاجَةُ المِسْكِ عَقْلي ... فَسَلُوها بما يَحِلُّ اغْتِصابي

أَزْهَقَتْ أُمُّ نوفَلٍ اذ دَعَتْها ... مُهْجَتي ما لِقاتِلي مِنْ مَتابِ

حينَ قالتْ لها أجيبي فقالتْ   مَنْ دَعاني قالتْ أبو الخطّابِ
أبرَزُوها مثلَ المَهاةِ تهادَى   بينَ خَمْسٍ كواعبٍ أترابِ
ثمّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهرًا   عددَ القطرِ والحصَى والترابِ

والثريا هي التي عناها عمر أموية وقد اختلف في نسبها فقيل انها الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر أبو عبد شمس وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر وذكر الزبير بن بكار ان الثريا هي بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر وانها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلي الذى قتله داود بن علي •• وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفلح قال خبرني بلال بن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريا اختصرناه وأوردنا بعضه قال لما سمع ابن أبي عتيق قول عمر — من رسولي الى الثريا بأنى — قال إياى أرادوني نوه لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص اليه لأصالح بينهما فنهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الدئل بن أبي بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم بها فقلت له استوضعهم شيئاً أو دعني أماكسهم فقد استطولوا فقال لي ويحك أما علمت ان المكاس ليس من خلق الله الكرام وركب إحداهما وركبت الأخرى فسار سيراً شديداً فقلت له ارفق على نفسك فان من تريد لا يفوتك فقال ويحك — أبادر حبل الود أن يتقضبا — ومن ملح الدنيا أن يلتئم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه فسلم عليه فما نزل ابن أبي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب أصلح بينك وبين الثريا فاني رسولك الذي سألت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني السفر من المدينة اليك فجئتك به معترفاً بذنب لم يجنه معتذراً من اساءتك اليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وكررنا راجعين الى المدينة ولم يقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة •• وفي الثريا يقول عمر

ابن أبي ربيعة أيضاً لما تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكنى بأبي الأبيض وقيل بل تزوّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

أيُّها المُنكِحُ الثُّريَّا سُهيلاً عَمْرَكَ اللهُ كيفَ يلتقيانِ
هيَ شاميَّةٌ إذا ما استقلَّتْ وسُهيلٌ اذا استقلَّ يمانِ

مجلس آخر ٢٦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (فغشيهم من اليم ما غشيهم) فقال ما الفائدة فى قوله ما غشيهم وقوله غشيهم يدل عليه ويستغنى به عنه لان غشيهم لا يكون إلاّ الذى غشيهم وما الوجه في ذلك .. الجواب قد ذكر فى هذا أجوبة .. أحدها أن يكون المعنى فغشيهم من اليم البعض الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم بعضه فقال ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه حكي عن الفراء وذكره أبو بكر الانبارى واعتمده وغيره أوضح منه ـ واليم ـ هو البحر .. قال الشاعر

وبني تُبَّعٌ علي اليمِّ قصرًا عاليًا مُشرِفًا على البُنيانِ

.. وثانيها أن يكون المعني فغشيهم من اليم ما غشى موسى وأصحابه وذلك ان موسى عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم إلاّ أن فرعون وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى عليه الصلاة والسلام وقومه جعل لهم فى البحر طريق يبس فقال تعالى فغشى فرعون وقومه من ماء اليم ما غشى موسى وقومه فنجا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهاء في قوله ما غشيهم كناية عن غير من كني تعالى عنه بقوله فغشيهم لان الأولى كناية عن فرعون وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه .. وثالثها انه غشيهم من عذاب اليم وإهلاكه لهم ما غشى الأمم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم وإقامتهم على رد أقوالهم

والعدول عن ارشادهم والأمم السالفة وان لم يغشهم الهلاك والعذاب من قبل البحر فقد غشيهم عذاب واهلاك استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم فشبه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب .. ورابعها أن يكون المعنى فغشيهم من قبل اليم ما غشيهم من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر .. ويمكنّ في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو واضح يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى (ماغشيهم) تعظيم الأمر وتفخيمه كما يقول القائل فعل فلانٌ ما فعل وأقدم على ما أقدم اذا أراد التفخيم وكما قال تعالى (وفعلت فعلتك التي فعلت) وما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وأنت أنت وفي القوم هم هم .. قال الهذلي

رَفَوْني وقالوا يا خُوَيلِدُ لاَ تُرَعْ فقلتُ وأَنكرْتُ الوُجوهَ هُمُ هُمُ

.. وقال أبو النجم

أنا أبو النجمِ وشِعْرِي شِعْرِي

كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره

﴿ مجلس آخر ٢٧ ﴾

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو يفيده قوله فخر عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الأول لا يذهب وهم أحد الى أن السقف يخر من تحتهم .. الجواب قيل له في ذلك أجوبة .. أولها أن يكون من بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أي خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه فيكون من وعن بمعنى واحد أي من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية

خر من أجل كفرهم السقف من فوقهم .. قال الشاعر

أَرْمِي عليْها وهيَ فَرْعٌ أَجمَعُ   وهيَ ثَلاَثُ أَذْرُعٍ وإِصبَعُ

أراد أرمي عنها لأن كلام العرب رميت عن القوس فأقام على مقام عن ولو انه قال تعالى على هذا المعنى خر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهمٌ ان السقف خر وليس هم تحته .. وثانيها أن يكون على بمعنى اللام والمراد خر السقف فان على قد تقام مقام اللام .. وحكي عن العرب ما أغيظك عليّ وما أغمك عليّ يريدون ما أغيظك لي وما أغمك لي .. قال الطِرِمّاح يصف ناقة

كأَنَّ مجرّاها على ثَفَناتِها   مُعَرَّسُ خَمْسٍ وُقِّعَتْ لِلجَناجِنِ (١)

اراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على .. وقد يقول القائل أيضاً تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد انه كان تحته فأخبر تعالى بقوله (من فوقهم) عن فائدة لولاه ما فهمت ولجاز أن يتوهم متوهم فى قوله خر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خرب عليه ربعه ووقعت عليه دابته وأشباه ذلك .. وللعرب في هذا مذهبٌ طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها فى خلاف ذلك ألا ترى أنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه

---

(١) ـ الثفنات ـ جمع ثفنة بفتح فكسر وهو من البعير ركبته وما مس الارض من كركرته وسعداناته وأصول أفخاذه ـ والمعرس ـ محل التعريس وهو النزول آخر الليل يريد محل مبيتها وبعده

وقعن اثنتين واثنتين وفردة   يبادرن تغليساً سمال المداهن

ـ السمال ـ جمع سملة وهي بقية الماء في الحوض ـ والمداهن ـ جمع مدهن وهي نقر فى رؤس الجبال يستنقع فيها الماء وقد سبق الى هذا المعنى ذو الرمة فقال

كان مجراها على ثفناتها   معرس خمس من قطا متجاور

وقعن اثنتين واثنتين وفردة   جريدا هي الوسطى بصحراء جائر

جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا من شأنهم اذا قالوا قال عليّ وروى على فانه يقال فى الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عنّي وروي عنّي ومثل ذلك قوله تعالى (واتبعوا ماتتلو الشياطين على مُلك سليمان) لانهم لما أضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن أن يقال تتلو عليه ولو كان خيراً لقيل عنه ومثله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقوله (أتقولون على الله مالا تعلمون) •• وقال الشاعر

عَرَضتُ نَصيحةً مني ليَحْيي فقالَ غَشَشْتَني والنُّصحُ ضُرُّ
ومالي لاَ أَكونُ أعيبُ يحيي ويَحيي طاهرُ الأَخلاقِ برُّ
ولكنْ قدْ أتاني أنَّ يحيي يُقالُ عليهِ في نَفعاهُ شَرُّ
فقلتُ لهُ تجَنَّبْ كلَّ شيْءٍ يُعابُ عليكَ إنَّ الحرَّ حرُّ

ومثله قول الفرزدق فى عنبسة بن سعدان المعروف بعنبسة الفيل وقد كان يتبع شعره ويخطئه ويلحنه [1]

---

(١) ــ قلت ــ كان عنبسة يعيب على الفرزدق مثل قوله

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال الامسحتاً أو مجلف

ــ المسحت ــ المبدد ــ والمجلف ــ الذي ذهبت به السنون وكان الفرزدق لحانة على جودة شعره وكان فحاشا لايعترض عليه أحد الاهجاه وقد سأله بعضهم عن رفع مجلف فى البيت فغضب وقال عليّ أن أقول وعليكم أن تحتجوا وأنكر عليه عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمى قوله

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب من نديف القطن منثور
على عمائمنا تلقى وأرحلنا على زواحف نزجي مخها ريرُ

فقال الاقلت (على زواحف نزجيها محاسير) فغضب وقال

فلو كان عبدالله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

لقدْ كانَ في مَعْدَانَ والفيلِ زَاجِرٌ لِعَنْبَسَةَ الرَّاوِي عليَّ القَصائدَا

فقال عليَّ ولم يقل عني للمعني الذي ذكرناه .. وثالث الوجوه في الآية أن يكون من فوقهم تأكيداً للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) والقلب لايكون إلاّ فى الصدر ونظائر ذلك في الكتاب كثير وفى كلام الأدب أيضاً والله أعلم

[تأويل خبر آخر أيضاً] .. إن سأل سائل عن الخبر الذى يرويه نافع عن أبي اسحاق الهجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن مأدبة لله تعالى فتعمدوا مأدبته ما استطعتم وان أصفر البيوت لبيتاً أصفر من كتاب الله فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه .. الجواب ـ المأدُبة ـ في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو اليه الناس فشبه النبي صلى الله عليه وسلم مايكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائدته اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال قد أدب الرجل يأدب فهو آدب اذا دعا الناس الى طعامه وشرابه ويقال للمأدبة المدعاة وذكر خلف الأحمر انه يقال فيه أيضاً مأدَبة بفتح الدال .. قال طرفة العبدى

نحنُ فى المَشتاةِ ندعو الجفَلَى لاَ تَرَى الآدِبَ فينا ينتقِرْ

ومعنى ـ الجفلى ـ أنه عم بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم .. والنقرى إذا خص بها بعضاً دون بعض ومعنى ـ ينتقر ـ من النقرى .. قال بعض هذيل

ولَيلةٍ يَصطَلي بالفَرْثِ جازِرُها يَختَصُّ بالنَّقَرَى المُثرِينَ دَاعِيها

لاَيَنبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدَةٍ عِندَ الصَّباحِ ولاَتَسْرِي أَفاعِيها

معنى ـ يصطلي بالفرث جازرها ـ أن الجازر اذا شق فيها الكرش أدخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئاً به ومعنى ـ يختص بالنقرى المثرين داعيها ـ أنه يخص بدعائه الى طعامه الأغنياء الذين يطمع من جهتهم فى المكافأة .. وقال الآخر

قالوا الثلاثاؤُ خِصبٌ ومأدُبةٌ وكلُّ أيّامِهِ يومُ الثّلاثاء

•• وقال الهذلي يصف عقاباً

كأنّ قلوبَ الطّيرِ في جوفِ وكرِها نوى القسبِ ملقىً عندَ بعضِ المآدبِ(١)

أراد جمع مأدبة •• وقد روى هذا الحديث بفتح المأدبة •• وقال الأحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم •• وقال غيره المأدبة بفتح الدال مفعلة من الأدب معناه ان الله تعالى أنزل القرآن أدباً للخلق وتقويماً لهم وانما دخلت الهاء في مأدُبة ومأدَبَة والقرآن مذكر لمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس •• وكما قال عنترة

والكُفرُ مَخبثَةٌ لنفسِ المُنعِمِ

وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسّابة في باب المدح على جهة التشبيه بالهداية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة •• ويقال لطعام الاملاك ولمية ولطعام الختان العذيرة ولطعام الزفاف العرس ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من السفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذى تطعمه النفساء نفسها الخرسة •• قال الشاعر

اذا النفساء لم تُخَرَّس ببكرها غلاماً ولم تُسكت بحترٍ فطيمها

ـ الحتر ـ الشيء القليل •• وقال آخر

كلُّ الطّعامِ تشتهي رَبيعهْ العرسُ والإعذارُ والنّقيعهْ

ويروى الخرس ••وينشد أيضاً في النقيعة قول الشاعر

إنّا لَنضربُ بالسّيوفِ رؤوسَهم ضَربَ القُدارِ نقيعةَ القُدّامِ

ـ القدار ـ الجزار ـ والقدام ـ جمع قادم •• وقال أبو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة •• وقال الفراء

---

(١) ـ القسب ـ بفتح فسكون اليابس من التمر

الشندخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس•• وقال أبو زيد يقال من النقيعة نقعت
••وقال الفراء منها أنقعت •• وقال ابن السكيت يقال للطعام الذى يتعلل به قدام الغداء
السلفة واللهنة لهّنوا ضيفكم أى أطعموه اللهنة •• قال الشاعر

عُجَيِّزٌ عارِضُها مُنْفَلُّ طَعامُها اَللُّهْنَةُ أو أَقَلُّ

•• وقال ابن السكيت يقال فلان يأكل الوجبة اذا كان يأكل في اليوم والليلة أكلة
•• قال بشار

فاستغنِ بالوَجَباتِ عن ذَهَبٍ لمْ يَبْقَ فيهِ لامرِىءٍ ذَهَبه

•• وقال ابن السكيت قال الأصمعي لرجل أسرع في سيره كيف كان سيرك قال كنت
آكل الوجبة وأنجو الوقعة وأعرّس اذا فجرت وأرتحل اذا أسفرت وأسير الوضع
وأجتنب الملع فجئتكم لمسى سبع •• قوله ــ أنجو الوقعة ــ معناه أقضي حاجتي مرة في
اليوم وهو من النجو•• وقوله ــ أسير الوضع ــ فالوضع سير فيه بعض الاسراع والملع
سير أشد منه وأراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة أن يقف ظهره قبل أن يبلغ
الأرض التى يقصدها يقال شر السير الحقحقة أى السير الشديد الذى يقطع صاحبه
عن بلوغ بغيته •• قال الشاعر

اذَا ما أَرَدْتَ الأَرْضَ ثمّ تَباعَدَتْ عليكَ فضَعْ رَحلَ المَطيّ وأنْزِلِ

أى استرح حتى تقوى على السير وان جهدت نفسك لم تقطع أرضاً ولم تبق ظهراً وهذا
من أبيات المعاني التي يسأل عنها والذى قيل فيه ما ذكرناه •• ويمكن أن يكون معنى البيت
اذا بعدت عليك الأرض فدعها واسل عنها كأنه قال دواء ما عزّ مطالبه الصبر وما جرى
مجرى ذلك من ألفاظ التسلية والأمر بالعدول عن تتبع ما صعب من الأمور •• وقال
الآخر في معنى البيت الأول

يُقَطِّعُ بالنُّزُولِ الأَرْضَ عَنْها وبُعْدُ الأَرْضِ يَقْطَعُهُ النُّزُولُ

وقوله ــ لمسى سبع ــ أي لمساء سبع ليال •• ويقال للذى يحضر طعام القوم من غير
أن يدعا اليه الوارش والوروش وقول العامة طفيلي مولد لا يوجد في العتيق من كلام

العرب وأصل ذلك أن رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد وليمة من غير أن يُدعى اليها فقيل للوارش طفيلي تشبيها بطفيل هذا في وقته .. ويقال للذي يحضر الشراب من غير أن يدعي اليه واغل .. قال امرؤ القيس

فاليومَ فاشربْ غيرَ مُستحقِبٍ إثماً منَ اللهِ ولاَ واغلِ

ويقال لما يشربه الوغل .. قال الشاعر

إنْ أكُ سكّيراً فلا أشربُ الوغـ ـلَ ولا يسلمُ منّي البعيرُ إنْ نشَزَا

وقوله صلى الله عليه وسلم ان أصفر البيوت لبيتا صفر من كتاب الله معناه أخلا البيوت ـ والصفر ـ عند العرب الخالي من الآنية وغيرها .. ويمكن في قوله مأدبة وجه آخر وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعاء الخلق اليه وأمرهم بالاجتماع عليه فسماه عليه الصلاة والسلام مأدبة لهذا الوجه لأن المأدبة هي التي يدعى الناس اليها ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الأول لأن الأول تضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو الى المأدبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد أن يريد عليه الصلاة والسلام بالخبر المعنيين معاً فلا تنافي بينهما .. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كنّا في مجلس الأصمعي إذ أقبل اعرابي فقال أين عميدكم فأشرنا الي الأصمعي فقال له ما معنى قول الشاعر

لاَ مالَ إلاّ العطافُ تؤزرُهُ أمُّ ثلاثينَ وابنةُ الجبلِ
لاَ يرتقي النزْفي ذلاذِلهِ ولا يعدّي نعليهِ منْ بللِ

.. فقال الأصمعي

عصرتُهُ نطفةٌ تضمّنها لصبٌ تلقّى مواضعَ السّبلِ
أو وجبةٌ منْ جناةِ أشكلةٍ إنْ لمْ يرعْها بالقوسِ لمْ تنلِ

قال فأدبر الاعرابي وهو يقول لم أر كاليوم رجلا •• قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفاً في رأس جبل يقول لا مال له إلاّ المطاف وهو السيف تؤزره أم ثلاثين يعني كنانة فيها ثلاثون سهماً وابنة الجبل يعني القوس لأنها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره •• وقوله ـ لايرتقي النز في ذلاذله ـ لأنه في رأس جبل فلا نز هناك يتعلق بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعدّي نعليه عنهما ـ والعصرة ـ الملجأ ـ والنطفة ـ الماء المجتمع في صخر أو غيره من بقية ماء المطر ـ واللصب ـ الشق في الجبل أضيق من اللهب وأوسع من النقب ـ والسبل ـ المطر ـ والوجبة ـ أن يأكل كل يوم مرة ـ والأشكل ـ السدر الجبلي واحده أشكلة •• يقول فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة عصرتاه •• وقوله ـ ان لم يرعها بالقوس ـ يعني انها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس •• [قال المرتضي] رضي الله عنه وانما جعل الأصمعي انشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها والأعرابي انما سأل عن المعنى فأقام انشادها لها مقام تفسيرها واستغنى الأعرابي بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعناها وكان الأصمعي كثيراً اذا أنشد شيئاً من الشعر ينشد في معناه في الحال •• فمن ذلك أن اسحاق بن ابراهيم الموصلي أنشده يوماً لنفسه

إِذا كانَتِ الأَحرارُ أَصلي ومَنْصِبي ... وقامَ بنَصْرِي حازِمٌ وابنُ حازِمِ
عَطَسْتُ بأَنفٍ شامِخٍ وتَناوَلَتْ ... يَدَايَ الثُّرَيَّا قاعِدًا غيرَ قائِمِ

•• قال فلما فرغت من انشادها أنشدني بعقب ذلك

أَلا أَيُّها السائلي جاهِلاً ... لِتَعرِفَني أَنا أَنفُ الكَرَم
نمتْ في الكِرامِ بني عامِرٍ ... فُرُوعي وأَصلي قُرَيشُ العجم

قال لجاء والله بالشعر الذي نحوته وعلت بيقّ عليه •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيي الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال ماأنشدت الأصمعي شيئاً قط إلاّ أنشدني مثله كأنه أعدّه لي فأنشدته يوماً للأعشى

عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غيري وعُلِّقَ أُخرى غيرَها الرَّجلُ

فأنشدنى من وقته

قَتَلَتْكَ أُختُ بني لُؤَيٍّ إذ رَمَتْ ... وأصابَ نَبْلُكَ إذ رَمَيتَ سِوَاها

وأعارَها الحَدَثانُ منكَ مَوَدَّةً ... وأعارَ غيرَكَ وُدَّها وهَوَاها

وذكر أبو العيناء قال كان الأصمعي اذا سمع انساناً ينشد شعراً فى معنى أنشد فى ذلك المعنى من غير أن يريه انه أراده فأنشده رجل قول القطامى

والناسُ مَنْ يلقَ خيرًا قائلونَ له ... ما يشتهي ولأُمِّ المُخطئِ الهَبَلُ

فأنشد هو قول قعنب الفزارى

فَمَنْ يلقَ خيرًا يَحْمَدِ الناسُ أَمرَهُ ... ومَنْ يَغْوِ لا يَعْدَمْ على الغيِّ لائما[1]

وروى ميمون بن هارون قال سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول أنشدت الأصمعي قول الأعشى طلباً أن ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم لا يضن بمثل هذا

إنْ تركبوا فرُكوبُ الخيلِ عادَتُنا ... أو تنزِلونَ فإنّا معشرٌ نُزُلُ

فأنشدنى لربيعة بن مقروم الضبى

ولقد شهِدتُ الخيلَ يومَ طِرادِها ... بسَليمِ أَوظِفةِ القوائمِ هَيْكَلِ[2]

فدَعَوا نَزالِ فكنتُ أَوّلَ نازلٍ ... وعلامَ أَركَبُهُ اذا لم أَنزِلِ

وروى عن اسحاق بن ابراهيم أيضاً أنه قال دخل على يوماً الأصمعي وعندى أخ للعمانى الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به أخو العمانى فقال له من هذا قال هو

---

(١) نسبه هنا الى قعنب الفزاري ونسبه غيره من أهل الادب الى المرقش الاصغر وهو عمرو بن حرملة أو ربيعة بن سفيان على اختلاف فيه

(٢) ــ أوظفة ــ جمع وظيف ككريم وهو مستدق الذراع والساق من الخيل والابل ــ والهيكل ــ الضخم المشرف ــ ونزال ــ اسم فعل أمر بمعنى انزل

الباهلي الذي يقول

فما صَحفةٌ مأدُومةٌ بإهالةٍ ... بأطيبَ من فيها ولا أقطِ رَطبُ (١)

فقال له قبل أن يستتم الكلام هو على كل حال أصلح من قول أخيك العماني

يا رُبَّ جاريةٍ حوزَاء ناعمةٍ ... كأنَّها عُومةٌ في جوفِ رَاقودِ (٢)

قال اسحاق فقلت له أ كنت أعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما من شيء إلا وأنا أعرف منه طرفاً

[تأويل آية أخرى] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه •• الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب •• أحدهما القول باللسان •• والآخر بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقالوا أتقول عبد الله خارجاً ومتى تقول محمد منطلقاً يريدون متى تظن •• قال الشاعر

أمَّا الرَّحيلُ فدُونَ بَعدِ غدٍ ... فمَتى تقولُ الدّارَ تجمعُنا

أراد فمتى تظن الدار •• وقال الآخر

أجُهالاً تقولُ بني لُؤَيٍّ ... لَعمرُ أبيكَ أمْ متجاهلينا

(١) ــ الصحفة ــ قصعة دون الجفنة وفوق المثقلة ــ والاهالة ــ الشحم أو ما أذيب منه أو الزيت أوكل ما ائتدم به ــ والاقط ــ بفتح فكسر وقد يسكن شيء يتخذ من المخيض الغنمي •• يريد بهذا التعريض ببني باهلة قوم الاصمعي وانهم اذا استحسنوا شيئا شبهوه بشيء من المأكولات

(٢) ــ العومة ــ دويبة ــ والراقود ــ دن كبير أو طويل الاسفل مطلي داخله بالقار •• يريد به ان رهط العماني يستطيبون حتى الخبائث والحشرات ويشبهون بها ما يستحسن

أراد تظن بنى لؤى .. وقال توبة بن الحمير

أَلاَ يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَقُولُهَا لَوَ انَّ طَرِيدًا خَائِفًا يَسْتَجِيرُهَا

تُخَبِّرُ إِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتَنْعَمُ لَيْلَى أَنْ يُفَكَّ أَسِيرُهَا [1]

أراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل فى الأمرين معاً أفاد قوله تعالى (بأفواههم) قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو أطلق القول ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يتوهم المعنى الآخر .. ومما يشبه بذلك قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فلم يكذب تعالى قول ألسنتهم لانهم لم يخبروا بأفواههم إلاّ بالحق بل كذب ما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات .. ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة فى قوله تعالى بأفواههم ان القول لا برهانٌ عليه وانه باطل كذبٌ لا يرجع فيه إلاّ الى مجرد القول باللسان لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقاً اذا كان راجعاً الى برهانٍ فيكون اضافة القول الى اللسان يقتضي ماذكرناه من الفائدة وهذا كايقول القائل لمن يشك فى قوله أو يكذبه هكذا تقول وليس الشأن فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكأنهم أرادوا أن يقولوا هذا قول لا برهان عليه فأقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بأفواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه إلاّ الى اللسان .. ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة فى

(١) هكذا أنشد البيت هنا وفى غيره من كتب الادب .

اظن بها خيراً وأعلم أنها ستنعم يوماأويفك أسيرها

وهذه الرواية أنسب وأقرب الى المعنى ومنها يعلم ان قوله فى البيت الذى قبله الا ياصفى النفس ــ انما هو خطاب لنفسه على سبيل التجريد وتلك عادتهم مشهورة فى اشعارهم ونثرهم ــ والبيتان من قصيدة له طويلة حسنة أولها

نأتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها

يقول رجال لا يضرك نأيها بلى كل ماشف النفوس يضيرها

ذلك التأكيد فقد جرت به عادت العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين أولي لأن حمل كلامه تعالي على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة

[تأويل آية أخرى] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلاّ الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) فقال أي معنى لرد الأيدي في الأفواه وأي مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم السلام •• الجواب قلنا في ذلك وجوه •• أولها أن يكون إخباراً عن القوم بانهم ردوا أيديهم في أفواههم عاضين عليها غيظاً وحنقاً على الأنبياء عليهم السلام كما يفعل المتوعد لغيره المبالغ في معاندته ومكايدته وهذه عادة معروفة في المغيظ المحنق انه يعض على أصابعه ويفرك أنامله ويضرب باحدى يديه على الأخرى وما شاكل ذلك من الأفعال •• وثانيها أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذبين والهاء التي في الأفواه للرسل عليهم السلام فكأنهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاءهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم •• وثالثها أن تكون الهاآن جميعاً يرجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم وانذارهم وضعوا أيدى أنفسهم على أفواههم مشيرين اليهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد منّا أن يسكت غيره ويومئه عن الكلام من وضع أصبعه على في نفسه •• ورابعها أن يكون المعنى فردوا القول بأيدي أنفسهم الى أفواه الرسل أي انهم كذبوهم ولم يصغوا الى أقوالهم فالهاء الأولى للقوم والثانية للرسل والأيدى انما ذكرت مثلا وتأكيداً كما يقول القائل أهلك فلان نفسه بيده أي وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره •• وخامسها أن المراد بالأيدى النعم والهاء الثانية للقوم المكذبين والتي قبلها للرسل والتقدير فردوا بأفواههم نعم الرسل أي ردوا وعظهم وإنذارهم وتنبيهم على مصالحهم الذى لو قبلوه لكان نعماً عليهم •• ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التي في الأيدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظة في على معنى الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك •• وحكي في لغة طيء أدخلك الله بالجنة يريدون في

الجنة فيعبرون بالباء عن معنى في كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بفي عن الباء .. قال الشاعر

وأرغبُ فيهَا عنْ لَقيطٍ ورَهطِهِ ولكِنَّنِي عنْ سنْبِسٍ لستُ أرغَبُ

أراد وارغب بها فحمل في على الباء .. وسادسها وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر وزعم انه أولى من غيره قال المضمرون في قوله أيديهم الرسل وكذلك المضمرون في أفواههم والمراد باليد ههنا مانطق به الرسل من الحجج والبينات التي ذكر الله تعالى انهم جاؤا بها قومهم واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضاً وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي أتى به الأنبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع على اسم اليد ولما كان ماتعظ به الأنبياء قومهم وينذرونهم به انما يخرج من أفواههم فردوه وكذبوه قيل انهم ردوا أيديهم في أفواههم أي انهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للرسل اليهم كما تأوله بعض المفسرين وذكر ان معناه انهم عضوا عليهم أناملهم غيظاً لأن رافع يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى راداً ليده الى فيه إلا اذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردها .. [قال المرتضى] رضي الله عنه وليس ماستنكره أبو مسلم من رد الأيدي الى الأفواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى فيه والى وجهه وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وان لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ هذا القول تحقيقاً لساغ تجوزاً واتساعاً وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها فان تجوزها واستعاراتها أكثر على انه يمكن أن يكون المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئاً بعد شيء وتكرر منهم فلهذا جاز أن يقول ردوا أيديهم في أفواههم لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب اذا صرنا الى مراده

[تأويل خبر] .. روى ان مسلماً الخزاعي ثم المصطلقي قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطلقي

لاَتأْمَنَنَّ وإنْ أمسيتَ في حَرَمٍ إنَّ المَنَايا تُوَافي كلَّ إنسانِ

وَاسلُكْ طَرِيقَكَ فِيهَا غيرَ مُخْتَشِعٍ ... حتى تَبَيَّنَ ما يَمْني لكَ الماني[1]

فكلُّ ذِي صاحبٍ يوماً يُفارِقُهُ ... وكلُّ زَادٍ وإِنْ أَبقيتَهُ فاني

والخيرُ والشرُّ مقرُونانِ في قَرَنٍ ... بكلِّ ذلكَ يأتيكَ الجَدِيدانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لأسلم فبكى مسلم فقال ابنه يا أبت ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فما رأيت مشركة تلقفت من مشرك خيراً من سويد •• قوله ـ ما يمنى لك الماني ـ معناه ما يقدّر لك القادر •• قال الفراء يقال منى الله عليه الموت أي قدّر الله عليه الموت •• وقال يعقوب مناك الله بما يسرك أي قدّر الله لك ما يسرك وأنشد

لعمرُ أبي عَمرٍو لقدْ ساقهُ المَنى ... إلى جدَثٍ يُوزَى لهُ بالأَهاضِبِ[2]

•• قال ابن الاعرابي ساقه المنى أي ساقه القدر •• وأنشد ابن الاعرابي

مَنَتْ لكَ أنْ تلاقيني المَنايا ... أُحادَ أُحادَ في الشَّهرِ الحَلالِ[3]

معناه قدرت لك •• وقال أبو عبيدة في قوله تعالى (من نطفة اذا تُمنى) معناه اذا تخلق وتقدّر •• وقال بعض أهل اللغة انما سمي منىً لما يمنى من ثواب الله أي يقدّر فيه وقيل أيضاً لما يمنى من الدم •• وقيل انما سمي بذلك لأن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما انتهى قال له الملك تمن قال أتمنى الجنة فسمي منى لذلك ومنى يذكر ويؤنث والتذكير أجود •• قال الشاعر في التذكير

سقَى مِنىً ثمَّ رَوَّاهُ وساكِنَهُ ... ومَنْ ثوَى فيهِ واهِي الوَدْقِ مُنْبَعِقُ

(١) ـ مختشع ـ من الخشوع وهو الذل والمسكنة يقول إن من سلك طريقه الذي يليق به سلوكه ولم يتجاوزه الى ما لا يليق به قضى عمره في عز ورفعة حتى يوافي أجله

(٢) ـ الجدث ـ القبر ـ ويوزى يحتفر ويعمل من أوزى داره اذا جعل حوله حيطانها الطين ـ والاهاضب ـ جمع هضبة وهي المشرف من الارض

(٣) ـ أحاد أحاد ـ يعني واحداً واحداً وهما ممنوعان من الصرف للعدل

•• وقال آخر في التأنيث

لَيَوْمُنَا بمِنىً إذْ نحنُ ننزلُها ... أَسَرُّ مِنْ يومِنا بالعرجِ أو مَلَلِ

فأما قوله ـ فالخير والشر مقرونان في قرن ـ فالقرن الحبل وأراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خيراً صرفاً لا شر فيه فلهذا قال انهما مقرونان في قرن ويجوز أيضاً أن يريد أن يريد لسرعة تقلب الدنيا وإبدالها الخير بالشر كأن الخير والشر مقرونان مجتمعان معاً لتقارب ما بينهما •• فأما ـ الجديدان ـ فهما الليل والنهار وهما أيضاً الأجدان والملوان والفتيان والردفان والعصران •• قال الشاعر

إنَّ الجديدَيْنِ في طُولِ اختلافِهما ... لا يَفْسُدانِ ولكنْ تَفسُدُ النَّاسُ

•• وقال آخر

وأَنْطُلُهُ العَصرَيْنِ حتَّى يَمَلَّني ... ويَرْضَى بنصفِ الدَّيْنِ والأنفُ راغمُ(١)

وقال أبو عبيدة ويقال الليل والنهار إنما سُبات •• وأنشد ابن الاعرابي

وكُنَّا وهمْ كابْنَي سُباتٍ تفرَّقا ... سوىً ثمَّ كانا منجداً وتَهامِيا

ويقال للغداة والعشي القرنان والبركان والصرعان •• أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي لرقيع الوالبي

كَذَبتْكَ ما وَعَدَتْكَ أمسِ صلاحُ ... وعسَى يكونُ لما وَعَدْتِ نَجاحُ

بَرْؤٌ مِنَ السقَمِ الطويلِ ضمانُهُ ... لا يَستوي سقَمٌ بكُمْ وصِحاحُ

أصلاحُ إنَّكِ قد رَميتِ نَوافِذاً ... وجَوائفاً ليسَتْ لهنَّ جِراحُ

(١) ـ أنطله ـ بالنون أي أمطله وقد روى بالميم أيضاً والمعنى انه لا يزال يسوفه من يوم الى يوم ومن وقت الى آخر حتى يرضى بنصف ماله عليه من الدين وأنفه راغم

ولقدْ رَأَيتُكِ بالقَوَادِمِ لمحةً ... وعليّ من سَدَفِ المَشيّ رَياحُ

معنا رياح هنا أى على وقت من العشى ومثله رواح وقوم يروونه بالكسر وليس بشيء

ما كانَ أبصرَنى بِغرّاتِ الصِبا ... واليومَ قدْ شفعتْ ليَ الأشباحُ

ومَشي بجَنبِ الشخصِ شخصٌ مثلهُ ... والأرضُ نائية الشخوص بَرَاحُ

حلقَ الحوادثُ لِمّتي فترَكْنَ لي ... رأساً يَصِلُّ كأنَّهُ جُمّاحُ

وذَكا بأصداغي وفَرْنِ ذؤابتي ... قَبَسُ المَشيبِ كأنَّهُ مِصباحُ

قال كأنه جماح من املاسه ــ وجماح ــ سهم أو قصبة يجعل عليها الطين ثم يرمى بها الطير

وبهذا الاسناد لبعضهم

أرَى النّاسَ للصعلوكِ حَرْباً ولا أرى ... لذي نَشَبٍ إلاّ خليلاً مُصافيا

أرَى المالَ يَغشَى ذا الوُصومِ فلا يُرَى ... ويُدعَى منَ الأشرافِ مَنْ كانَ غابيا

ــ الصعلوك ــ الفقير وهو أيضاً القرضوب والسبروت ــ والوصوم ــ العيوب • •

وبهذا الاسناد لعقيل بن علّفة

إني ليَحمَدُني الخليلُ إذا اجتدَى ... مالي ويكرَهني ذوو الأضغانِ

وأبيتُ تَحلِجنى الهمومُ كأنّني ... دَلوُ السُّقاةِ تُمَدُّ بالأشطانِ[1]

وأعيشُ بالبَلَلِ القليلِ وقدْ أرَى ... أنَّ الرُّموسَ مَصارِعُ الفتيانِ

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني عليّ بن منصور قال أخبرنى محمد بن موسى عن دعبل بن عليّ قال قال لى عقيل بن علفة وذكر الأبيات الثلاثة وزاد فيها

---

(١) ــ تحلجني ــ من حلجت القطن اذا ميزت حبه عن شعره ورواه ابن الاعرابى بالخاء من خلجه الهم شغله ــ وتمد ــ ترفع ــ والاشطان ــ جمع شطن وهو حبل البئر ــ والرموس ــ جمع رمس وهو القبر يقول إنّ الموت كائن لا محالة فالقليل من العيش والكثير سيان

ولقد علمت لئن هلكت ليذكرن ... قومي إذا علن النجيّ مكاني

[قال المرتضى] رضي الله عنه وكان عقيل بن علّفة مع قوّة شعره جيّد الكلام حكيم الألفاظ ‥ وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علّفة المري ما أحسن أموالكم فقال ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضلا قال ثم أيها قال مواريثنا قال فأيها أشرف قال ما استفدناه لوقعة خولت نعماً وأفادت عزّاً قال فما مبلغ عزكم قال مالم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به مننا وأبقينا به ذكراً قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منّا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه ‥ وروى انه قيل لعقيل بن علّفة قد عنّست بناتك أفما تخشى عليهن الفساد قال كلا إني خلّفت عندهن الحافظين قيل وما هما قال الجوع والعري أجيعهن فلا يأشرن وأعريهن فلا يظهرن ‥ وقال له عبد الملك يوماً مالك تهجو قومك قال لأنهم أشباه الغنم اذا صيح بها رفعت واذا سكت عنها رتعت قال انما تقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق ‥ فأما معنى علّفة اسم أبيه ‥ قال ابن الاعرابي قال العلّفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهر من البقل وغيره ‥ وقال أبو سعيد السكري العلّفة ضربٌ من أوعية بزر بعض النبات مثل قشرة الباقلاء واللوبيا وهو الغلاف الذي يجمع عدة حب ‥ وقيل ان عقيلا كان يكنى بأبي الوليد وكان عقيل غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة ‥ وروى أبو عمرو بن العلاء انه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول

إني وإنْ سيقَ إليّ المهرُ ... ألفٌ وعبدانٍ وذودٌ عشرُ

أحبُّ أصهاري إليّ القبرُ

وذكر الأصمعي ان عقيلا كان لغيرته اذا رأى الرجل يتحدث الى النساء أخذه ودهن ارفاغه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهم ‥ وروى الأصمعي قال كان عقيل بن عُلّفة في بعض سفره ومعه ابنه العملس وابنته الجرباء فأنشأ يقول

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرِ سَعْدٍ وَرُبَّمَا ... عَلَى عَجَلٍ نَاطَحْنَهُ بِالجَمَاجِمِ[1]

ثم أقبل على ابنه فقال أجز ياعلس فقال

وأصبحنَ بالمَوْمَاةِ يحملنَ فتيةً ... نشاوَى من الإدلاجِ ميلَ العمائمِ

ثم أقبل على ابنته فقال أجيزي ياجرباء فقالت

(١) ـ دير سعد ـ بين بلاد غطفان والشام وقد أخرج الضحاك هذه الحكاية بابسط مما ذكر هنا ونحن نذكرها تتميما للفائدة .. قال خرج عقيل بن علفة وجثامة وابنته الجرباء حتى أتوا بنتا له ناكحا في بني مروان بالشامات ثم انهم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل بن علفة

قضت وطراً من دير سعد وطالما ... على عرض ناطحنه بالجماجم

اذا هبطت أرضا يموت غرابها ... بها عطشا أعطينهم بالخزائم

ثم قال أنفذ ياجثامة فقال جثامة

فأصبحن بالموماة يحملن فتية ... نشاوى من الادلاج ميل العمائم

اذا علمٌ غادرنه بتنوفة ... تذارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال أنفذي ياجرباء فقالت

كأن الكرى سقاهم صرخدية ... عقارا تمشى في المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة لولا الامان لضربت بالسيف تحت قرطك أما وجدت من الكلام غير هذا فقال جثامة وهل اساءت انما أجادت وليس غيري وغيرك فرماه عقيل بسهم فاصاب ساقه وأنفذ السهم ساقه والرجل ثم شدّ على الجرباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقة جثامة وتركه عقيرا مع ناقة الجرباء ثم قال لولا أن تسبني بنو مرة لما عشت ثم خرج متوجها الى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن جثامة أوقلت لهم انه اصابه غير الطاعون لا قتلنك فلما قدموا على أهل أبير وهم بنو القين ندم عقيل على فعله بجثامة فقال لهم هل لكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى جثامة فوجدوه قد أنزفه الدم فاحتملوه وتقسموا الجزور وأنزلوه

كأنَّ الكرى سقاهم صَرْخَدِيَّةً　　عُقارًا تَمَشَّتْ في المَطا والقوائمِ

قال فأقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه إخوتها فقاتلوه دونها ثم رماه أحدهم بسهم فانتظم فخذه .. فقال عقيل

إنَّ بنيَّ زمَّلوني بالدَّمِ　　مَنْ يَلْقَ أبطالَ الرِّجالِ يُكْلَمِ
ومَنْ يَكُنْ ذا أَوَدٍ يُقَوَّمِ　　شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أَخْزَمِ

ـ الشنشنة ـ الطبيعة والسجية وقيل الشبه وهذا مثل اجتنابه عقيل وقد قيل قبله ولعقيل

ولِلدَّهرِ أثوابٌ فكُنْ في لباسِهِ　　كلِبْسَتِهِ يومًا أجَدَّ وأخلَقا
وكُنْ أكيَسَ الكَيْسى اذا كُنتَ فيهمُ
وإنْ كُنتَ في الحَمقى فكُنْ أنتَ أحمَقا

مجلس آخر ٢٧

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (والى الله ترجع الأمور) فقال كيف يصح القول بأنها رجعت عليه وهي لم تخرج عن يده .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولها ان الناس في دار المحنة والتكليف قد يغتر بعضهم ببعض ويعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد يدخل عليهم الشبه لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد قوم الأصنام وغيرها من

عليهم وما لجوه حتى برئ والحقوه بقومه فلما كان قريباً منهم تغنى

أيعذر لاحينا ويلحين في الصبا　　وما هنّ والفتيان الاشقائق

فقال له القوم انما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آنفا وقد عاودت ما يكرهه فامسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لا يلحقك منه شر وعر فقال انما هي خطرة خطرت والراكب اذا سار تغنى

المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ويعبد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة ويضيف كل هؤلاء أفعال الله عز وجل فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وأيقن الكل انه لاخالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله فردوا اليه أمورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتأميله للضر والنفع غرورٌ وزور فقال الله تعالى (والى الله ترجع الأمور) لهذا المعنى .. والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقي وقد تقول العرب قد رجع عليَّ من فلان مكروه بمعنى صار اليَّ منه ولم يكن سبق اليَّ قبل هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد عليَّ من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء .. قال الشاعر

وإنْ تكنِ الأيّامُ أحسنَ مرّةً ... إليَّ فقدْ عادَتْ لهنَّ ذُنُوبُ

أي صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جائز تشهد له اللغة .. والوجه الثالث إنّا قد علمنا ان الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أموراً تنقطع بانقطاع التكليف وإفضاء الأمر الى الدار الآخرة مثل ما ملكه الموالي من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز أن يريد الله تعالى برجوع الأمر اليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتمليكه الى أن يكون هو وحده مالكها ومدبرها .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بها ان الأمر ينتهي الى أن لا يكون موجود قادر غيره ويفضي الأمر في الانتهاء الى ما كان عليه في الابتداء لأن قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد إفنائهم هكذا يصير وتكون الكناية برجوع الأمر اليه عن هذا المعنى وهو رجوعٌ حقيقي لأنه عاد الى ما كان عليه متقدماً .. ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك انّ الى قدرته تعود المقدورات لأن ما أفناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى إيجاده لعوده الى ما كان عليه وان كان لا يصح في مقدورات البشر وان كانت

باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدور القدر باستحالة العود اليها من حيث لم يجر فيها التقديم والتأخير وهذا أيضاً حكمه تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين والله أعلم بما أراده

مجلس آخر ٢٨

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) فقال أي معنى لذكر البيوت وظهورها وأبوابها وهل المراد بذلك البيوت المكونة على الحقيقة أو كنى بهذه اللفظة عن غيرها فانكان الأول فما الفائدة فى إتيانها من أبوابها دون ظهورها وان كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها •• الجواب قيل له فى الآية وجوه •• أولها ماذكر من أن الرجل من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخر البيت ولم يدخل من بابه تطيّراً فدلهم الله تعالى على أن هذا من فعلهم لا بر فيه وأمرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطيّر وقال لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أي لا يعدى شئ شيئاً •• وقال عليه الصلاة والسلام لايورد ذو عاهة على مصحّ ومعنى هذا الكلام انمن لحقت إبله آفة أومرض فلا ينبغي أن يوردها على إبل لغيره صحاح لأنه متى فعل ذلك يلحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقاً لا لأجل العدوى ولم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول انما لحق إبلي هذه الآفة من تلك الابل وهى أعدت إبلي فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا ليزول المأثم بين الفريقين والظن القبيح •• وثانيها ان العرب[1] إلاّ قريشاً ومن ولدته

(١) قوله ان العرب الاقريشاً الخ قلت ليس كذلك وانما الذين كانوا يتحامون دخول البيوت من أبوابها وهم محرمون الاحامس وهم قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية وانما سموا بذلك لتحمسهم في دينهم أي تشددهم وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم أقبل ليدخل بيت بعض نسائه وهو محرم ومعه بعض أصحابه فلما دخل النبي صلى

قريش كانوا اذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من أهل الوبر واذا كانوا من أهل المدر نقبوا في بيوتهم مايدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت فنهاهم الله تعالى عن ذلك وأعلمهم انه لامعنى لهوانه ليس من البر وان البر غيره •• وثالثها وهو جواب أبي عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر بان تطلبوا من غير أهله وتلتمسوه من غير بابه وأتوا البيوت من أبوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عند أهله •• ورابعها وهو جواب أبي عليّ الجبائي أن يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل وأراد ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته لأنّ إتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الاثم والخطأ وبين البر والتقوى وامر باتيان الأُمور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً لأن العادل عن الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه •• وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى وأتوا النساء من حيث أمركم الله والعرب تسمي المرأة بيتاً •• قال الشاعر

مالي إذَا أنزِعُها صأَيتُ ... أَكِبَرٌ غيَّرَني أَم بيتُ

أراد بالبيت المرأة •• ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي على الجبائي والجواب عن أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم أحمد بن يحي النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي

إني عجبتُ لأمّ العَمْرِ إذْ هرِبتْ ... من شيبِ رأسي وما بالشَّيبِ من عارِ
ما شِقوةُ المرءِ بالإقتارِ يُقتِرُهُ ... ولا سعادتُهُ يوماً بإِكثارِ
إنَّ الشقيَّ الّذي في النّارِ منزلُهُ ... والفوزُ فوزُ الذي ينجو منَ النّارِ

الله عليه وسلم تأخر الرجل فقال له عليه الصلاة والسلام مالك لا تدخل فقال أنا أحمسى فقال وأنا كذلك فنسخ بفعله وقوله ما كانت عليه قريش ومن أخذ مأخذها

أعوذُ بالله من أمرٍ يُزَيِّنُ لي ... شتمَ العشيرة أو يُدني منَ العارِ

وخيرِ دُنيا يُنَسّي المرءَ آخرةً ... وسوفَ تبدُو الى الجبّارِ أسراري

لاَ أدخلُ البيتَ أحبُو من مؤخّرهِ ... ولا أكسّرُ في ابنِ العمّ أظفاري

فقوله ـ لا أدخل البيت أحبو من مؤخره ـ يحتمل أن يريد به إني لا آتي الأمور من غير وجهها على أحد الأجوبة في الآية ٠٠ ويحتمل أيضاً إني لا أطلب الخير إلا من أهله على جواب أبي عبيدة ٠٠ ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يريد إني لا أقصد البيت للريبة والفساد لأن من شأن من يسعى الى أفساد الحُرم ويقصد البيوت للريبة أن يعدل عن أبوابها طلباً لاخفاء أمره فكأنه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح وتنزه عنه كما تنزه بقوله ـ ولا أكسر في ابن العم أظفاري ـ عن مثله وأراد انه لا يبدأ ابن العم مني السوء ولا يتألم بشيء من جهتي فأكون كأني قد جرحته بأظفاري وكسرتها في لحمه وهذه كنايات بليغةٌ مشهورة للعرب ٠٠ ويجرى مجرى هذه الأبيات ويقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم

وإني لَعَفٌّ عن زيارةِ جارتي ... وإني لمشنوءٌ اليَّ اغتيابُها

اذا غابَ عنها بعلُها لم أكُن لها ... زَوُّرًا ولم تنبح عليَّ كلابُها

وما أنا بالدّاري أحاديثَ بيتِها ... ولا عالِمٍ من أيّ حوكٍ ثيابُها

وإنْ قرابَ البطنِ يكفيكَ ملأهُ ... ويكفيكَ عوراتِ الامورِ اجتنابُها

[قال المرتضى] رضي الله عنه وقد جمعت هذه الأبيات فقراً عجيبة وكنايات بليغة لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لأنها أدنى الى الريبة وأخص بالتهمة فقال ـ ولم تنبح عليّ كلابها ـ أراد إني لا أطرقها ليلا مستخفياً متنكراً فتنكرني كلابها وتنبحني وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم ٠٠ لا أدخل البيت أحبو من مؤخره وقد روى ولم تأنس اليّ كلابها وهذا معنى آخر كأنه أراد انه ليس يكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها فتأنس به كلابها لأن الانس لا يكون إلاّ

مع المواصلة والموازرة •• وقوله ـ وما أنا بالداري أحاديث بيتها ـ أراد به أيضاً التأكيد في نفي زيارتها وطروقها عن نفسه لأنه اذا أدمن الزيارة عرف أحاديث بيتها فاذا لم يزرها وصارمها لم يعرف •• ويحتمل أن يريد إنني لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك •• وقوله ـ ولا عالم من أي حوك ثيابها ـ كناية مليحة عن انه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها •• وبالاسناد المتقدم لحارثة ابن بدر الغداني

اذَا الهَمُّ أَمْسَي وهوَ دَاءٌ فأَمضِهِ ... ولسْتَ بمُمْضيهِ وأنتَ تُعادلُهْ

ولاتنْزِلنَّ أمرَالشَّديدَةِ بامرِىءٍ ... اذا همَّ أمرًا عوَّقتهُ عوَاذلُه

فما كلُّ ما حاوَلتَهُ المَوْتُ دُونَهُ ... ولا دُونَهُ أَرْصادُهُ وحبائله

ولاالفتْكُ ما آمرْتَ فيه ولا الَّذي ... تُحدِّثُ مَنْ لاقيتَ أنَّكَ فاعلُه

وماالفَتْكُ إلاَّ لامرِئٍ ذِي حَفيظةٍ ... اذَا مالَ لمْ ترْعُدْ عليهِ خصائله

ولا تجعلَنْ سِرًّا الي غيرِ أهلهِ ... فتقمُدَ إنْ أَفشي عليكَ تجادلُه

ولا تسأَلِ المالَ البَخيلَ ترَى لهُ ... غنىً بعدَ ضُرٍّ أوْرثتهُ أوائلُه

أرَى المالَ أفياءَ الظِّلاَلِ فتارَةً ... يؤُوبُ وأُخرَي يَختلُ المالَ خاتِلُه

معنى ـ آمرت ـ شاورت ـ والخصائل ـ كل لحم مجتمع وقد روينا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذي ذكرناه •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثني الفضل بن محمد عن أبي المنهال المهلبي قال من الأبيات السائرة قول حارثة بن بدر الغداني

لَعمرُكَ ما أَبقي ليَ الدَّهرُ مِنْ أخٍ ... حفيٍّ ولا ذي خلَّةٍ لي أُواصلُه

ولاَ مِن خَليلٍ ليسَ فيهِ غوائلٌ ... فشرُّ الأخِلاَّءِ الكَثيرُ غوائلُه

وقُلْ لِفُؤَادٍ إنْ نَزَى بكَ نَزْوَةً ... منَ الرَّوعِ أَفرِخْ أكثرُ الرَّوعِ باطلُه

معنى ـ أفرخ ـ أي أسكن يقال أفرخ روعه اذا سكن

وما كلُّ ما حاولتَهُ الموتُ دُونَهُ

وذكر البيتين اللذين بعده وزاد

وكنْ أنتَ تَرعى سِرَّ نفسِكَ واعلمَنْ ... بأنَّ أقلَّ النَّاسِ لِلسِّرِّ حامِلُه

إذَا ما قَتَلتَ الشَّيْءَ عِلْماً فَبُحْ بِهِ ... ولاَ تَقُلِ الشَّيْءَ الَّذي أنتَ جاهِلُه

ومما يستحسن لحارثة بن بدر الغداني قوله

لنا نَبعةٌ كانتْ تَقينا فُرُوعُها ... وقدْ بلَغتْ إلاَّ قليلاً عُرُوقُها

وإنَّا لَتَستحلي المَنايا نُفوسُنا ... ونَتْرُكُ أُخرى مُرَّةً لا نَذُوقُها

وشَيَّبَ رأسي قبلَ حينِ مَشيبِهِ ... رعودُ المَنايا بيننا وبُرُوقُها

قوله ـ لنا نبعة كانت تقينا فروعها ـ مَثَلٌ ضربه وانما أراد عشيرته وأهل بيته .. وقد روى هذه الأبيات عليّ بن سليمان الأخفش عن أبي العباس ثعلب وزاد فيها

رَأيتُ المَنايا بادِياتٍ وعُوَّدا ... إلى دارِنا سهلاً الينا طريقُها

وقدْ قسَّمتْ نفسي فريقينِ منهُما ... فريقٌ معَ الموتى وعندي فريقُها

وبينا نُرَجّي النَّفسَ ما هُوَ نازِحٌ ... منَ الأمرِ لاقتْ دُونَها ما يَعوقُها

.. وروى أبو العيناء قال أنشد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأول فقال عبد الله لمن هذا ياشعبي قال لحارثة بن بدر فقال نحن أحق بهذا ثم أمر للشعبي بأربعمائة دينار .. ومن مستحسن قول حارثة

ولقدْ وليتُ إمارَةً فرَجَعتُها ... في المالِ سالِمةً ولمْ أتَموَّلِ

ولقدْ مَنَحتُ النُّصحَ مِنْ مُتقبِّلٍ ... ولقدْ رَفَدتُ النُّصحَ مَنْ لمْ يَقبلِ

فبأىّ لمسةِ لامسٍ لمْ ألتمسْ　　وبأيّ حيلةِ حائلٍ لمْ أحتلِ
يا طالبَ الحاجاتِ يرجو نجحها　　ليسَ النجاحُ معَ الأخفِّ الأعجلِ
فاصدقْ إذا حدّثتَ تُكتبْ صادقاً　　وإذا حلفتَ مُمارياً فتحلّلِ

معنى ـ تكتب صادقاً ـ أى تكون عند الله صادقاً ٠ ٠ وقوله ـ فتحلل ـ أى استثن

وإذا رأيتَ الباهشينَ الى العُلى　　غُبْراً أكفُّهمُ بريثٍ فاعجلِ

٠٠معنى ـ الباهشين ـ المادين أيديهم الي الشئ المهتشين له

واحذرْ مكانَ السوءِ لاتحلُلْ بهِ　　وإذا نبا بكَ منزلٌ فتحوّلِ
وإذا ابنُ عمّكَ لجّ بعضَ لجاجةٍ　　فانظرْ بهِ عدةً ولا تستعجلِ[١]
وإذا افتقرتَ فلا تكنْ متخشّعاً　　ترجو الفواضلَ عندَ غيرِ المُفضلِ
واستغنِ ما أغناكَ ربُّكَ بالغنى　　وإذا تكونُ خصاصةٌ فتجمّلِ

٠٠ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقيل لزياد ان هـذا قد غلب عليك وهو مشتهر بالشراب فقال زياد كيف لي باطراح رجل هو يسايرني مذ دخلت العراق لم تصطك ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت الي قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سألته عن علم إلاّ ظننته لايحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة أيها الأمير ما هـذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة قد كان برع بروعاً لايلحقه معـه عيب

(١) ـ اللجاجة ـ الخصومة ـ وانظر ـ انتظر ـ يقول إذا خاصمك قريبك ولج في خصومتك فانتظر رجوعه اليك وإقلاعه عن خصومتك ولا تستعجل عليه في مقابلته بمثل مابدأك به أو فانتظر به نازلة تشغله عنك وتكف عنك غائلته

وأنا حدث وانما أنسب الى من يغلب عليّ وأنت رجل نديم الشراب فتى قربتك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظن بي فدع الشراب وكن أوّل داخل على وآخر خارج فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضرّى ونفعي أفأدعه للحال عندك قال فاختر من عملي ماشئت قال توليني رام هرمز فانها أرض عدات وشرف فان بها شراباً وصف لي فولاه إيّاها فلما شيعه الناس ٠٠ قال أنس بن أبي أنيس وقيل ابن أبي إياس الدّئلي

أحارِ بنَ بَدرٍ قد وُليتَ إمارَةً   فكُنْ جُرَذًا فيها تخونُ وتَسرِقُ

ولا تحقِرَنْ يا حارِ شيئاً وَجدتَهُ   فحظُّكَ من مُلكِ العراقينِ سُرَّقُ(١)

وباهِ تميماً بالغِنَى إنَّ للغِنَى   لساناً بهِ المرءُ الهيُوبةُ ينطقُ

فإنَّ جميعَ النَّاسِ إمَّا مُكذِّبٌ   يقولُ بما تهوَى وإمَّا مُصدِّقُ

يقولونَ أقوالاً ولاَ يعلمونَها   فإنْ قيلَ هاتوا حقِّقوا لمْ يُحقِّقوا

وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدئلي وانه كتب بها الى حارثة لما ردت اليه سرّق وزاد فيها

وكنْ حازماً في اليومِ إنَّ الذي بهِ   يجيءُ غدٌ يومٌ على الناسِ مُطبِقُ

ولاَ تَعجزَنْ فالعجزُ أوطأُ مَركَبٍ   وما كلُّ مَن يدعو الى الخيرِ يُرزَقُ

اذا ما دَعاكَ القومُ عَدُّوكَ آكِلاً   وكلُّ حارٍ أوجعُ لستَ ممنْ يُحمَّقُ

ويقال ان حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله

جزاكَ إلهُ العرشِ خيرَ جزائهِ   فقد قلتَ معروفاً وأوصيتَ كافيا

---

(١) سرق بضم أوله وتشديد ثانيه كورة من كور الاهواز ومدينتها دورق

أشرتَ بأمرٍ لو أشرتَ بغيرهِ   لألفيتني فيهِ لأمرِكَ عاصيا[1]

••ويقال ان حارثة بن بدر والأحنف بن قيس قد دخلا على ابن زياد فقال لحارثة أي الشراب أطيب وكان يتهم فقال برة طاساريه واقطة عنويه وسمنه عنزيه وسكرة سوسيه ونطفة مسرقانيه فقال للأحنف يا أبا بحر ما أطيب الشراب قال الخمر قال وما يدريك ولست من أهلها قال رأيت فيها خصلتين عرفت انها أطيب الشراب ••ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بأبيه

أُهانُ وأُقصى ثمّ تنتصحُونني   وأيُّ امرىءٍ يُعطي نصيحتَهُ قسرا

رأيتُ الأكفَّ المُصلتينَ عليكمُ   ملاءً وكفّي من عطاياكمُ صفرا

وإني معَ الساعي اليكمْ بسيفهِ   اذا أحدثَ الأيامُ في عظمِكُمْ كسرا

متى تسألوني ما عليَّ وتمنعوا   الذي لي لم أستطعْ لكُمْ صبرا

•• وقال يعاتبه

وكمْ منْ أميرٍ قد تجبّرَ بعدَ ما   مرَيتُ لهُ الدُّنيا بسيفي فدرّتِ

اذا زبنَتهُ عن فُواقٍ أتتْ بهِ   دعاني ولمْ أُدعَ اذا ما أقرّتِ

اذا هيَ ما احلولَت محا حقَّ مقسمي   ويقسِمُ لي منها اذا ما أمرّتِ

ـ زبنته ـ أي دفعته عن ان يحلبها ـ والفواق ـ اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين •• ومعنى ـ أقرت ـ تركته يحلبها •• ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير يعاتب معاوية ومروان وأهل بيته من جملة قصيدة وهي أبيات قوية جداً

---

(١) ـ قلت ـ أورد هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان وذكر بني بدر المذكورين هنا وزاد بعدها بيتا واحدا وهو

ستلقى أخا يصفيك بالود حاضرا   ويوليك حفظ الغيب ما كان نائيا

عطاؤكم للضاربين رقابكم ونُدعى اذا ما كان جزّ الكراكر (١)
أنحن أخوكم في المضيق وسهمنا اذا ما قسمتم في الخطاء الأصاغر

ــ الخطاء ــ سهام صغار

وتدنيكم الأدنى اذا ما قسمتم ونلقى بشذي حين نسأل باسر (٢)
وإن كان فينا الذنب للناس مثله أخذنا به من قبل ناه وآمر

أي من قبل أن نهي عنه أو نؤمر باجتنابه

وإن جاءكم منا غريب بأرضكم لويتم له يوماً جنوب المناخر
فهل يفعل الأعداء إلا كفعلكم هوان السراة وابتغاء العواثر
وغير نفسي عنكم ما فعلتم وذكر هوان منكم متظاهر
جفاؤكم من عالج الحرب عنكم وأعداؤكم من بين جاب وعاثر
فلا تسألوني عن هواي وودكم وقل في فؤاد قد توجه نافر

والحارث يرثي زياداً

لهفي عليك للهفة من خائف يبغي جوارك حين ليس مجير
أما القبور فإنهن أوانس بجوار قبرك والديار قبور
عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
ردت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور

---

(١) ــ جز ــ قطع ــ والكراكر ــ جمع كركرة بالكسر وهي رحى زور البعير أو صدر كل ذي خف أو الجماعة من الناس كنى بذلك عن الحرب

(٢) ــ باسر ــ أي جاف لا لين فيه ٠٠ ومنه بسر الحاجة أي طلبها قبل أوانها

•• [قال المرتضى] رضي الله عنه وأظن أبا تمام الطائي نظر الى قول حارثة بن بدر * ردت صنائعه اليه حياته * في قوله

أَلَمْ تَمُتْ يا شَقِيقَ النفسِ مذ زَمَنٍ ... فقالَ لي لم يَمُتْ مَنْ لم يَمُتْ كَرَمُهْ

وأخبرنا عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن يعني ابن أخي الاصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاه فجعل لا يمر بمجلس من مجالس تميم إلاّ قالوا مرحباً بسيدنا فقال كعب ماسمعت كلاماً قط هو أقر لعيني وألذ في سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكني ماسمعت كلاماً قط هو أكره اليّ منه ثم قال

ذَهَبَ الرِّجالُ فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدٍ ... ومِنَ الشَّقاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّؤْدَدِ

وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثل به •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكناني مر حارثة بن بدر بالأحنف ابن قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك قال له أجل كانوا يكرهون أن يشاور الجائع حتى يشبع والظمآن حتى ينقع والضال حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون حتى يفيق

مجلس آخر ٢٩

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فقال أي تمدح في سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدحة فيه •• الجواب قلنا في ذلك وجوه •• أولها أن يكون المعنى انه سريع الحساب للعباد على أعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تأخر ويجري مجرى قوله تعالى (وما أمرُ الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب) وانما جاز أن يعبر عن المجازاة أو الجزاء بالحساب لأن

مايجازى به العبد هو كفوٌ لفعله وبمقداره فهو حسابٌ له اذا كان مماثلا مكافئاً .. ومما يشهد بان فى الحساب معنى المكافأة قوله تعالى (جزاء من ربك عطاء حساباً) أى عطاء كافياً ويقال أحسبنى الطعام يحسبنى إحساباً اذا كفانى .. قال الشاعر

وإذ لا ترى في النّاسِ حسناً يفوتُها   وفي النّاسِ حُسناً لو تأمّلتَ مُحْسِبُ

معناه كاف .. وثانيها أن يكون المراد أنه عزوجل يحاسب الخلق جيماً فى أوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك حلب شاةٍ لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل يكلمهم جيماً ويحاسب كلهم على أعمالهم في وقت واحدٍ وهذا أحد ما يدل على انه تعالى ليس بجسم وانه لايحتاج في فعل الكلام الى آلة لأنه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز أن يخاطب اثنين فى وقت واحدٍ بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة كما ان جيع ذلك واجب فى المحدثين الذين يفتقرون فى الكلام الى الآلات .. وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوبٍ وانه لما كانت عادة بنى الدنيا أن يستعملوا الحساب والاحصاء فى أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى انه يعلم مايحسبون بغير حسابٍ وانما سمى العلم حساباً لأن الحساب انما يراد به العلم وهذا جوابٌ ضعيف لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ولو سمى بذلك لما جاز أيضاً أن يقال انه سريع العلم بكذا لأن علمه بالاشياء مما لايتجدد فيوصف بالسرعة .. ورابعها ان الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسأل فى وقت واحدٍ سؤالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجزى كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه عند دعائه ومسئلته مايستوجبه بحدٍّ ومقدار فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب فأعلمنا تعالى انه سريع الحساب أى سريع القبول للدعاء بغير احصاء وبحث عن المقدار الذى يستحقه الداعى كما يبحث المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا جواب مبنى أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لايسمى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على

ذلك بما يكون حجة فيه وإلاّ فلا طائل فيما ذكره .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها وتكون الفائدة في الاخبار بسرعته الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى (سريع العقاب) وليس لأحد أن يقول فهذا هو الجواب الأول الذي حكيتموه وذلك ان بينهما فرقاً لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمقابلة بالأعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفضي الحساب اليه .. وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي عليّ الجبائي في اعتماده إيّاه بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفّة الحساب وسرعة زمانه مايقتضي زجراً ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب أن يكون المراد الاخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال .. وهذا الجواب ليس أبو عليّ المبتدي به بل قد حكي عن الحسن البصري واعتمده أيضاً قطرب ابن المستنير النحوي وذكره المفضّل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لأنه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه قال تعالى (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب وراجعاً الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو يكون راجعاً الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيباً مما كسبوا فلا يكون وعيداً خالصاً بل إمّا أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً وَوَعيداً على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ماذكر الطاعن لكان لقوله تعالى (والله سريع الحساب) على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وأن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لامحالة لأن من علم بانه يحاسب بأعماله ويوقف على جيلها وقبيحها انزجر عن القبيح وعمل ورغب في فعل الواجب

فهـذا ينصر الجواب وان كنّا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجـازاة وقرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً فى الطاعات وزجراً عن المقبحات فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونسق الآية إلاّ أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردود

مجلس آخر ٣٠

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فقال أى تمدح فى الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب أجزل عطية من المعطى بغير حساب •• الجواب قلنا فى هذه الآية وجوهٌ •• أولها أن تكون الفائدة انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب ههنا راجع الى المرزوق لا إليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا فى حسابى أى لم أؤمله ولم أقدّر انه يكون وهـذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسباً كان أهنأ له وأحلا •• وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه في تفسير هذه الآية انه قال عنى بها أموال بني قريظة والنضير فانها تصير اليكم بغير حساب ولا قتال على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها •• وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقاً غير مضيق ولا مقتر بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون نفى الحساب فيه نفياً للتضييق ومبالغة فى وصفه بالسعة والعرب تسمى العطاء القليل محسوباً •• قال قيس بن الخطيم

أَنَّى سَرَيْتِ وكنتِ غيرَ سَرُوبِ ... وتقرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريبِ

ما تَمْنَعي يقظى فقد تُؤْتِينَـهُ ... في النَّوْمِ غيرَ مُصَرَّدٍ محسوبِ

•• وثالثها أن يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير حساب أى من غير طلب للمكافأة أو اراغة فائدة تعود اليه أو منفعة ترجع عليه لان من شأن أهـل الدنيا أن يعطوا ليكافئوا ولينتفعوا ولهذا يقال فيمن يقصد بالمطية الى هذه الأمور فلان يحاسب الناس

فيما يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور من عطاياه سبحانه جاز أن يقول انه يرزق من يشاء بغير حساب •• ورابعها ما أجاب به قطرب قال معنى الآية يعطى العدد الكثير لا مايضبطه الحساب أو يأتى عليه العدد لأن مقدوره تعالى لا يتناهى وخزائنه لا تحصر ولا يصح عليه النفاد وليس كالمعطي منا الألف من الألفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدودٌ متناهٍ ولا تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه •• وخامسها أن يعطى عباده فى الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا وأزيد مما وجب لهم لمحاسبته إياهم على طاعاتهم كما قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) وكما قال عز وجل (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم) وكما قال تعالى (ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) •• وسادسها أن يكون المعطي منا غيره شيئاً والرازق سواه رزقاً قد يكون له ذلك فيكون فعله حسناً لا يسأل عنه ولا يؤاخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحاً يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيحَ وما ليس له أن يفعله بنفى الحساب عنه وأنبأ أنه لا يرزق ولا يعطى إلاّ على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم ويجرى الآية مجرى قوله تعالى (لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون) وانما أراد انه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز أن يسأل عنها وان سئل العباد عن أفعالهم لانهم يفعلون الحسن والقبيح معاً •• وسابعها ان الله تعالى اذا رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطاً من جهة الناس فليس لأحد أن يقول له لم رزقت ولا يقول لربه لم رزقته ولا يسأله ربه عن الرزق وانما يسأله عن انفاقه فى الوجوه التى ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى ولذلك قال تعالى (بغير حساب) •• وثامنها أن يكون المراد بمن يشاء أن يرزقه من أهل الجنة لانه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث لانهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى فى موضع آخر (فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)

[تأويل خبر] ••ان سأل سائل عن الخبر الذي يروي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال توضؤا مما غيرت النار •• فقال ماالمراد بالوضوء ههنا ومذهبكم ان مس ما غيّرته النار لا يوجب الوضوء •• الجواب ان معنى توضؤا أى نظفوا أيديكم من الزهومة لانه روى ان جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزهومة ويقولون فقدها أشد علينا من ريحها فأمر عليه الصلاة والسلام بتنظيف الأيدي ••فان قيل كيف يصح أن تحملوا الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الافعال المخصوصة بدلالة ان من غسل يده أو وجهه لايقول بالاطلاق توضأت ومتى سلم لكم أن الوضوء أصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه الصلاة والسلام خص بالعرف الشرعي وحمله عليه أولى من حمله على اللغة ••قلنا ليس ننكر أن يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالأفعال المعينة وكذلك المضاف منه الى الحدث أو الصلاة وما أشبههما •• فأما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباق على أصله ألا ترى انهم لو قالوا توضأت من الطعام ومن الغُمْرة أو توضأت للطعام لايفهم منه إلاّ الغسل والتنظيف واذا قالوا توضأت اطلاقاً أو توضأت من الحدث أو للصلاة فهم منه الأفعال الشرعية فليس ينكر ماذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس الى أن اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيدها باقياً على ما كان عليه في اللغة ••ويبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وانما أراد غسل اليدين بغير شك •• وروى عن قتادة أنه قال غسل اليد وضوء •• وروى عكرش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل وغسل يده ومسح ببلل يده وجهه وذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الأفعال الشرعية المخصوصة لصح أن نحملها في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى أصلها بالأدلة وان كان الأولى لولا الأدلة أن نحمل على

مقتضى الشرع فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل كتف شاة وقام فصلى ولم يتوضأ •• وروى عطاء عن أم سلمة قالت قربت جنباً مشوياً الى النبي صلى الله عليه وسلم فأكل منه وصلى ولم يتوضأ •• وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول[1] لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا انه لا ظاهر له •• فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قيل وضأها ويقال فلان وضيء الوجه وقومٌ وِضاء •• قال الشاعر

مَسَامِيحُ الفَعَالِ ذَوُو أَنَاةٍ   مَرَاجِيحٌ وَأَوْجُهُهُمْ وِضَاءُ[2]

والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك أيضاً التوضأ ••والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز أن يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا حسن القبول فجعلوا القبول مصدراً وهو مفتوح الأول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم إلا معنى

---

(١) ــ قلت ــ الخبر الاخير وهو ما رواه جابر انه كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار يدل دلالة صريحة على ان المراد بالوضوء في الحديث السابق وهو توضؤا مما غيرت النار الوضوء الشرعي الذي هو عبارة عن غسل الاعضاء المعلومة وان الوضوء مما مست النار كان مشروعا ثم نسخ وكل ما ذكر من كونه صلى الله عليه وسلم أكل مما نالته النار ولم يتوضأ محمول على ما بعد النسخ وهذا هو الصحيح ولا حاجة لتمحل السيد رحمه الله ولا يناقض هذا مذهب أحد ممن يقول بعدم مشروعية الوضوء مما مست النار

(٢) ــ الفعال ــ بكسر الفاء جمع فعل خيراً كان او شراً فان فتحوا الفاء أرادوا ما هو من أفعال الخير فقط ــ والأناة ــ السكينة والتؤدة ــ ومراجيح ــ ثقال يريد أنهم لا يطيشون في كل ما ينزل بهم

المصدر وحده •• قال جرير

أَهَوِيَّ أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وُقُودَا ... أَمْ بِالْجُنَيْنَةِ مِنْ مَدَافِعِ أُودَا (١)

•• وقال آخر

اذَا سُهَيْلٌ لاَحَ كالوُقودِ ... فَرْدًا كَشاةِ البَقَرِ المَطْرُودِ

•• وقال آخر

وأَجَّجْنا بِكُلِّ يَفاعِ أَرْضٍ ... وُقُودَ النَّارِ لِلمُتَنَوِّرِينا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال حدثني ابراهيم بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال أتيت عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوماً في منزله فاذا هو مغيظ ينفخ فقلت له مالي أراك هكذا قال دخلت على عاملكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو ابن عثمان فسلمت فلم يردّا عليّ السلام فقلت

أَلاَ فأَبلِغا عَنِّي عِرَاكَ بنَ مالِكٍ ... فإِنْ أَنتَ لمْ تَفعَلْ فأَبلِغْ أَبا بَكْرِ

فقدْ جَعلَتْ تَبْدُو شَوَاكِلُ مِنكُما ... فإِنَّكُما بي مُوقَرانِ مِنَ الصَّخْرِ

وطاوَعْتُما بِي غادِرًا ذَا مُماكَةٍ ... لَعَمْري لقدْ أَوْرَى ومامِثلُهُ يُورِي

يقال ــ معك ــ به وسدل به اذا تعرض به لشر

فلوْلاَ اتِّقاءُ اللهِ اتِّقائِيَ فِيكُما ... لِلُمْتُكُما لَوْمًا أَحَرَّ مِنَ الجَمْرِ

فمِسَّا تُرَابَ الأَرْضِ مِنها خُلِقْتُما ... وفيها المَعادُ والمَقامُ الى الحَشْرِ

ولاَ تأْنَفَا أَنْ تُسْئَلا فتُكَلَّما ... فما حُشِيَ الأَقوامُ شرًّا مِنَ الكِبْرِ

---

(١) ــ الجنينة ــ تصغير جنة وهي البستان روضة نجدية ــ وأود ــ بضم فسكون أحد منازل تميم بنجد ــ ومدافع ــ جمع مدفع وهو مسيل الماء الى الوادي

ولوْ شِئْتُ أَدْلى فيكُما غيرُ واحِدٍ ... عَلاَنِيةً أو قالَ عِندِيَ في السِّرِّ [1]

معناه لو شئت اغتابكما عندى غير واحد

فإنْ أَنا لمْ آمُرْ ولمْ أَنْهَ عَنكُما ... ضَحِكتُ لهُ حتّى يَلِجَّ ويَستَشرِي [2]

وكيفَ تُرِيدانِ ابنَ سبعينَ حجّةً ... على ما أَتى وهوَ ابنُ عِشرِينَ أو عَشرِ

لقدْ عَلِقتْ دَلوَاكما دَلوَ حُوَّلٍ ... مِنَ القومِ لا رِخوِ المَرَاسِ ولا نَزْرِ [3]

قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برىء وانما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن جرم وكانا صديقيه كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما •• وقد جاءت رواية أخرى ان أبا بكر بن عمرو بن جرم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله فلا يسلّمان عليه فقال الأبيات يخاطبهما بها •• وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

إذا كانَ لي سِرٌّ فحدّثتُهُ العِدَى ... وضاقَ بهِ صَدرِي فلَلنّاسُ أعذَرُ

هوَ السِّرُّ ما استَودَعتَهُ وكَتَمتَهُ ... وليسَ بِسِرٍّ حينَ يَفشُو ويَظهَرُ

•• وأنشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة بن مسعود

أُواخي رِجالاً لَستُ مُطلِعَ بَعضِهِمْ ... على سِرِّ بَعضٍ إنَّ صَدرِيَ واسِعُه

اذا هيَ حلّتْ وَسطَ عَودِ بنِ غالبٍ ... فذلكَ وُدٌّ نازِحٌ لا أُطالِعُه

---

(١) ـ أدلى ـ يقال أدلى فلان في فلان اذا قال فيه قولا قبيحاً •• يقول لو شئت لسلطت عليكما الناس فسبوكما سراً وعلانية ولكنى امسك عنكما اتقاء لله فيكما

(٢) ـ يستشرى ـ بمعنى يلج أى يتوغل في الأمر ويغرق فيه •• ومنه قيل للخوارج الشراة لتوغلهم فى المروق من الطاعة ومخالفة الجماعة

(٣) ـ حول ـ شديد الاحتيال ومثله حول كصرد وحوله كهمزة وحوالىّ بفتح الحاء وضمها •• يقول انكما وقعتما مع من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما

تلاقت حيازيمي على قلب حازم ... كتوم لما ضمت عليه أضالعه

بني لي عبد الله في سورة العلى ... وعتبة مجدا لا تنال مصانعه

والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمي

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جماعها

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله

تغلغل حب عثمة في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور

شققت القلب ثم ذررت فيه ... هواك فليم فالتأم الفطور

أكاد اذا ذكرت العهد منها ... أطير لو أن إنسانا يطير

غني النفس أن أزداد حبا ... ولكني إلى وصل فقير

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

أحللت في قلبي هواك محلة ... ما حلها المأكول والمشروب

وأخذه المتنبي في قوله

وللسر مني موضع لا يناله ... نديم ولا يفضى اليه شراب

وكان العباس بن الأحنف ألم به في قوله

لو شق قلبي لرأى وسطه ... اسمك والتوحيد في سطر

•• وقال الصاحب اسماعيل بن عباد

لو شق قلبي لرأوا وسطه ... سطرين قد خطا بلا كاتب

العدل والتوحيد في جانب ... وحب أهل البيت في جانب

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي •• ولعبيد

الله بن عبد الله بن عتبة

لَعَمْرُ أبي المحصينَ أيامَ نلتقي ... لِمالاَ نُلاَقيها منَ الدَّهرِ أكثرُ
يَعُدُّونَ يوماً واحداً إنْ أتيتُها ... وينسونَ ما كانت على الدَّهرِ تهجرُ
فإنْ يكنِ الواشونَ أغروا بهجرِها ... فإنَّا بتجديدِ المودَّةِ أجدرُ

ومن مستحسن قوله من غزله

لَعَمْرِي لئنْ شطَّتْ بعتمةَ دارُها ... لقد كُنتُ منْ وَشْكِ الفراقِ أُليحُ[1]
أرُوحُ بهمٍّ ثمَّ أغدُو بمثلِهِ ... ويحسبُ أني في الثيابِ صحيحُ

أخذ هذا المعنى بشار فقصر عنه في قوله

ويُصبحُ محزوناً وَيُمسي به ... وليسَ يدري مالهُ عِندَكِ

مجلس آخر ٣١

[تأويل آية].. إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام (قد افترينا على الله كذباً إن عُدْنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله ربنا).. فقال[2] أليس هذا صريحاً منه بان الله تعالى يجوز أن

---

(١) ـ شطت ـ بعدت ـ ووشك ـ قرب ـ وأليح ـ أخاف وأحذر .. يقول ان ارتحلت عنا وفارقتنا فقد كنت أنتظر ذلك وأتوقعه وأتخوف منه قبل أن يقع

(٢) ـ قلت ـ أصل الاشكال في الآية ينبني على مذهب المعتزلة ان الله جل شأنه لايريد الا الحسن وان غير الحسن لايشاؤه ولا يريده ومذهب أهل السنة ان كل ماقع في الكون من خير او شر فهو مراد لله تعالى وعلى هذا المذهب فلا اشكال في الآية بل هي شاهدة له

يفعل الكفر والقبيح لأن ملة قومه كانت كفراً وضلالا وقد أخبر انه لايعود فيها إلاّ أن يشاء الله .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه .. أولها أن يكون الملة التي عناها الله انما هي العبادات الشرعيات التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع الى الاعتقادات في الله وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والألطاف والمعلوم من أحوال المكلفين فكأنه قال ان ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها وأزال حكمها إلاّ أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت ضلالا وكفراً فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيماناً وهُدى بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك وليس تجرى هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذى لايجوز أن يكون إلاّ قبيحاً .. وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله (قد افترينا على الله كذباً إن عُدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) .. فيقال له لم ينف عودهم اليها على كل حال وانما نفى العود اليها مع كونها منسوخة منهياً عنها والذى علقه بمشيئة الله تعالى من العود اليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمثلها والجواب مستقيم لاخلل فيه .. وثانيها انه أراد ان ذلك لايكون أبداً من حيث علقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوم انه لا يشاؤه وكل أمر علق بما لايكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه وتجرى الآية مجرى قوله تعالى (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) وكما يقول القائل أنا لا أفعل كذا حتى يبيضّ القار أو يشيب الغراب .. وكما قال الشاعر

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ... وينشر في القتلى كُليبٌ لوائل (١)

(١) ـ القارظان ـ يذكر بن عنزة وعامر بن رهم وكلاهما من عنزة خرجا في طلب القرظ وهو ثمر السنط فلم يرجعا فضربت العرب بغيبتهما المثل ويقال انهما مرا بواد عميق فيه عسل فقال أحدهما لصاحبه لو نزلت فأتيتنا منه بشئ فربط نفسه بحبل وتدلى حتى بلغ اسفل الوادي فلما اخذ من العسل حاجته قال لصاحبه ارفعني فقال له لاارفعك

والقارظان لا يؤوبان أبداً وكليب لا ينشر أبداً فكأنه قال ان هذا لا يكون أبداً .. وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من أن فى الكلام تقديماً وتأخيراً وان الاستثناء من الكفار وقع لا من شعيب فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار ﴿ لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعودوا فى ملتنا ﴾ ثم قال حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال .. ورابعها أن تكون الهاء التى فى قوله فيها الى القرية لا الى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام إنا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلاّ أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد فى الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها .. وخامسها أن يكون المعنى إلاّ أن يشاء الله أن يردكم الى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكياً عنهم أو لتعودن فى ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يكون من بعد إلاّ أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة .. فان قيل الاستثناء بالمشيئة انما كان بعد قوله ﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها ﴾ فكأنه قال ليس نعود فيها إلاّ أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب .. قلنا هو كذلك إلاّ أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن تصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلاّ أن يشاء الله أن نتفق في الملة بان ترجعوا أنتم الى الحق .. فان قيل فكان الله تعالى ما شاء أن ترجع الكفار الى الحق .. قلنا بلى قد شاء ذلك إلاّ أنه ما شاءه على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذى أجرى بالتكليف اليه ولو شاءه على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم فكان شعيباً عليه الصلاة والسلام قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبداً الا أن يشاء الله أن يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا فى ملتنا والفائدة فى ذلك واضحة لانه لو أطلق

أو تزوجني أختك وكان له أخت يهواها فقال له ليس هذا وقته فتركه ومضى ثم هلك فى منصرفه الى أهله ولم يوقف لهما على خبر ــ وكليب ــ هو الذي قتله جساس فهاجت بقتله الحرب التي تسمى حرب البسوس

أنّا لا نتفق أبداً ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم ان ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالمشيئة هــذا الوجه ويجري قوله تعالى (إلاّ أن يشاء الله) مجرى قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) •• وسادسـها أن يكون المعنى إلاّ أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود الى إظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه قوله تعالى (أولو كنّا كارهين) ••وسابعها أن يكون المعنى إلاّ أن يشاء اللهأن يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه لان اظهار كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله (أو لو كنا كارهين) يقوي هذا الوجه أيضاً ••فان قيل فكيف يجوز من نبي من أنبياء الله أن يتعبد باظهار الكفر وخلاف ماجاء به من الشرع ••قلنا يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله أن يتعبد أمتي باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهو جائز غير ممتنع

[تأويل خبر]••روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الصدقة ما أبقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول •• الجواب قد قيل في قوله خير الصدقة ما أبقت غنى قولان •• أحدهما ان خـير ما تصدقت به مافضل عن قوت عيالك وكفايتهم فاذا خرجت صدقتك عنك الى من أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله في الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى •• وقال ابن عباس في قوله تعالى (ويسـئلونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ما فضل عن أهلك •• والجواب الآخر أن يكون أراد خير الصدقة ماأغنيت به من أعطيت عن المسـئلة أي تجزل له في العطية فيستغني بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغني بها ويكف عن المسئلة فذاك أفضل من أن يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم ••والتأويل الأول يشهد له آخر الخبر وهو قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر أيضاً انما الصـدقة عن ظهر غني ••وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى ••قال قوم يريدان اليد المعطية خير من الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسـفلى هي المعطية •• قال ابن قتيبة ولا أرى

هؤلاء إلاّ قوماً استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق هو الذي أعتق والمولى من أسفل هو الذي أعتق والناس انما يعلون بالعطايا لا بالسؤال ٠٠ [قال المرتضى] رضي الله عنه وعندي[1] ان معنى قوله عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعاً وهو أن تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى يداً في مذهب أهل اللسان بغير شك فكأنه صلى الله عليه وسلم أراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على المكارم وتحضيض على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً ٠٠ ويشهد لهذا التأويل أحد التأويلين المتقدمين في قوله ما أبقت غنى وهذا أشبه وأولى من أن تحمل على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطية خيراً من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطي ولفظة خير لا تحمل إلاّ على الفضل في الدين واستحقاق الثواب ٠٠ وأما من جعل الآخذة خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً مع انه قد قال قولاً شنيعاً وعكس الأمر على ما قال ابن قتيبة ٠٠ فان قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى وهي لا تبقي غنى إلاّ بعد أن تنقص من غيرها واذا كانت العطية التي هي أجزل أفضل فتلك لا تبقي غنى والتي تبقي غنى ليست

---

(١) ـ قوله وعندي أن معنى قوله عليه الصلاة والسلام الخ هذا التأويل بعيد جداً فان قوله في الحديث العليا خير من السفلى لا يدل على أن المراد باليد النعمة ولو كان المراد هذا لوصفها بكونها حقيرة وجليلة أو كبيرة وصغيرة والظاهر أن المراد باليد الجارحة وأما قوله بعد في دفع هذا ان هذا لا يستمر لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممن يعطي فبعد تسليم صحته لا يسلم على عمومه وليس المراد في الحديث بكون اليد العليا خيرا من السفلى انها كذلك من جميع الوجوه حتى يلزم ماقال وانما المراد أفضليتها من حيث كونها معطية ومفضولية الآخذة من حيث كونها آخذة فلا ينافي هذا أن تكون الآخذة خيرا من المعطية من وجه آخر

الجزيلة وهذا تناقض • • قلنا أما تأويلنا فطابق للوجهين المذكورين في قوله ما أبقت غنى لان من تأول ذلك على أن المراد بها المعطي وان خير العطية ما أغنته عن المسئلة فالمطابقة ظاهرة ومن تأوّله على الوجه الآخر وحمل ما أبقى الغنى على المعطي وأهله وأقاربه فتأويلنا أيضاً مطابق له لانه قد يكون فى العطايا التي تبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى بعد إخراجها والعطية الجزيلة التي يبقى بعدها غنى خير من القليلة فمدح عليه الصلاة والسلام بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل • • أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحي قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيمى قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحي النحوى قال أنشدنا ابن الاعرابى لثابت قطنة العتكي

يا هندُ كيفَ بنَصْبٍ باتَ يُبكيني ... وعائرٍ في سَوادِ العينِ يُؤْذِيني [1]

كأنَّ ليلِيَ والأَصْدَاءُ هاجدَةٌ ... ليلُ السَّليمِ وأعيى مَنْ يُداويني

لمَّا حَنَي الدَّهرُ مِن قوسي وعذَّرَني ... شَيْبِي وقاسيتُ أمرَ الغلظِ واللِّينِ

اذا ذَكَرْتُ أبا غسَّانَ أرَّقني ... همٌّ اذا عرَّسَ السَّارُونَ يُشجيني

كانَ المفضَّلُ عزًّا في ذَوي يَمَنٍ ... وعِصْمَةً وثِمالاً للمساكين

غيثًا لذي أزمةٍ غبراءَ شاتيةٍ ... منَ السِّنينَ ومأوى كلِّ مسكينِ

إني تذكَّرتُ قتلَى لو شهدتُهمُ ... في حومةِ الحربِ لم يَصْلَوا بها دوني

لاخيرَ في العيشِ اذْلَمْ يجنِ بعدهمُ ... حرباً تبيءُ بهم قتلي فتشفيني

---

(١) — النصب — الهم والتعب وانما سكنه لضرورة الشعر — والعائر كل ما أعلّ العين من رمد أو قذي

لاَ خيرَ في طَمَعٍ يُدْنِى إلي طَبَعٍ ... وعفةٌ مِنْ قُوامِ العَيْشِ تكفيني [1]

وأَنظُرُ الأَمرَ يَعنِيني الجَوابُ بهِ ... ولَستُ أَنظُرُ فيما ليسَ يَعنِيني

لاَ أرْكبُ الامرَ تُزْرِى بي عَواقبُهُ ... ولاَ يُعابُ بهِ عِرْضي ولاَ دِيني

لاَ يَغلِبُ الجهلُ حِلمي بَعدَ مقدرَةٍ ... ولاَ المَضيبةُ مِنْ ذِي الضِغْنِ تُبكيني

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَماني لوْ قَصَدْتُ لهُ ... لمْ يأْخُذِ النِّصفَ مِنّي حِينَ يَرْميني

••[قال المرتضى] أدام الله علوه وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أُذينة ويداخل أبياتاً له على هذا الوزن وهي التي يقول فيها

لقدْ علِمتُ وما الإِسْرافُ مِنْ خُلُقي ... إنَّ الذي هوَ رِزقي سوفَ يأْتيني

أَسْعى إليهِ فيعْنيني تَطلُّبُهُ ... ولوْ قَعدْتُ أتاني لاَ يُعَنِّيني [2]

كَمْ قدْ أَفَدْتُ وكمْ أَتْلفْتُ مِنْ نَشَبٍ ... ومِنْ مَعاريضِ رِزْقٍ غيرِ مَمْنُونِ

---

(١) ـ الطبع ـ الذل وفي الحديث أعوذ بالله من طمع يفضي الى طبع ـ والعفة ـ بالضم بقية اللبن في الضرع بعدما امتص أكثره •• يقول ان القليل يغني عن الكثير فلا خير في طمع يفضي الى ذل

(٢) يقول ان الرزق مقسوم لن يفوت الانسان منه ماقسم له ـ ويحكى أن عروة هذا وفد على عبد الملك بن مروان مسترفدا فلما دخل عليه قال له من أنت فتسمي له فقال عبد الملك ألست القائل (لقد علمت وما الاسراف من خلقي) الابيات فأطرق مليا ثم خرج من فوره ذلك فركب ناقته وخرج الى الحجاز ثم ان عبد الملك سال عنه فقيل انه سافر فندم على ما كان منه وقال انه شاعر ولسنا نأمن أن ينالنا من لسانه شئ فأرسل اليه بصلة جزيلة فوافاه الرسول بها حين وافى منزله بالمدينة فقال للرسول قل لامير المؤمنين كيف رأيت صدقه في قوله

فما أشرتُ على يُسْرٍ وما ضَرَعَتْ ... نفسي لِخَلّةِ عُسْرٍ جاء يَبْلوني [1]

خِيمي كَرِيمٌ ونفسي لاَ تُحَدِّثُني ... أَنَّ ٱلإِلٰهَ بِلاَ رِزْقٍ يُخَلِّيني

وما اشتَرَيتُ بمالي قطُّ مَكرُمَةً ... إلاَّ تيقَّنْتُ أنّي غيرُ مَغبونِ

ولاَ دُعيتُ إلى مَجْدٍ ومَحْمَدَةٍ ... إلاَّ أَجَبْتُ اليهِ مَنْ يُنادِيني

لاَ أبتغي وَصلَ مَن يبغي مُفارَقتي ... ولاَ أَلِينُ لِمَنْ لاَ يَبتَغي لِيني

إني سيَعرِفُني مَنْ لَستُ أَعرِفُهُ ... ولو كَرِهتُ وأبدُو حينَ يُخفيني

فمَطِّنِي جاهِدًا واجهَدْ عليَّ اذَا ... لاَقَيتَ قومَكَ فانظُرْ هل تُمَطِّيني [2]

وقوم يخبطون فيروون قوله ـ لقد علمت وما الاشراف من خلقي ـ بالسين غير المعجمة وذلك خطأ وانما أراد بالاشراف أني لا أستشرف وأتطلع على مافاتني من أمور الدنيا ومكاسبها ولا تتبعها نفسي .. [قال المرتضى] رضي الله عنه ولي أبيات في معنى بعض أبيات قطنة وعروة بن أذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عني منذ أنيق عشرة سنة والأبيات

تَعاقَبَني بُؤْسُ الزَّمانِ وخَفضُهُ ... وأَدَّبَني حَرْبُ الزَّمانِ وسِلمُهُ

وقدْ علِمَ المَغرُورُ بالدَّهرِ أنَّهُ ... وَراءَ سُرُورِ المَرْءِ في الدَّهرِ غَمُّهُ

---

(١) ـ أشرت ـ من الاشر وهو البطر ـ وضرعت ـ من الضراعة وهي الذل

(٢) وذكر الأصفهاني في الأغاني لعروة زيادة عما ذكره السيد رحمه الله في هذه الأبيات وهي

كم من فقير غني النفس تعرفه ... وكم غني فقير النفس مسكين

وكم أخ لي طوي كشحاً فقلت له ... ان انطواءك عني سوف يطويني

اني لأبصر فيما كان من أربي ... وأكثر الصمت فيما ليس يعنيني

وما المَرْء إلاَّ نَهبُ يومٍ وليلةٍ　　تَخُبُّ بهِ شُهبُ الفناء ودُهمُهُ
يُمَلِّلُهُ بَرْدُ الحياةِ يمسّــهُ　　ويَغترُّهُ رَوحُ النَّسيمِ يَشُمُّهُ
وكانَ بعيداً عن مُنازعةِ الرَّدى　　فألقتهُ في كَفِّ المَنيَّةِ أُمُّهُ
ألاَ إنَّ خيرَ الزّادِ ما سَدَّ فاقةً　　وخيرُ تِلاديَ الَّذِي لاَ أُجِمُّهُ(١)
وإنَّ الطَّويَ بالعِزِّ أحسنُ بالفتى　　اذا كانَ من كَسبِ المَذَلَّةِ طُعمُهُ
وإني لأَنهى النَّفسَ عن كُلِّ لذَّةٍ　　اذا ما ارتقَى منها الى العِرضِ وصْمُهُ
وأُعرِضُ عن نيلِ الثُّريا اذا بَدَا　　وفي نيلهِ سوءُ المَقالِ وذَمُّهُ
أَعِفُّ وما الفَحشاءُ عنّي بَعيدةٌ　　وحسبيَ في صَدٍّ عنِ الأمرِ إثْمُهُ
وما العَفُّ مَن وَلّى عن الضَّربِ سيفُهُ　　ولكنَّ مَنْ وَلّى عَنِ السُّوءِ حَزمُهُ

ولي في معنى قوله وما الاشراف من خانق

ما خامرَ الرِّزقُ قلبي قبلَ فجأتهِ　　ولاَ بَسَطتُ لهُ في النّا ثباتِ يَدِي
كَمْ قدْ تَرادَفَ لمْ أَحفِلْ زِيادتَهُ　　ولوْ تجاوَزَني ما فُتُّ منْ عَضُدِي
إنْ أُسخطَ الأمرُ أُدرِكْ عنهُ مُضطَرَباً　　وإنْ أُرِدْ بَدَلاً من مَذهبٍ أجِدِ

ومعنى ــ ما خامر الرزق قلبي ــ أي لم أتمنه ولا تطلعت الى حضوره ولا خطر لي ببال

---

(١) ــ الفاقة ــ الحاجة ــ والتليدان ــ التالد من المال وهو ماورثه الانسان من آبائه والطارف وهو ما اكتسبه واستحدثه بسعيه غلب أحدهما على الاخر فثناهما به يقول خير المال ماسد الفاقة وما زاد على ذلك فهو فضل وزيادة وهذا كقولهم خير الزاد مابلغك المحل وحسبك من القلادة ماأحاط بالعنق وقوله وخير تلادي يريد به ان خير مال الانسان ماأنفق منه وأعطي لا ماادخر وجمع

تنزهاً وتقنعاً والوجه فى تخصيص انى بسط اليد بالنوائب لانها يضرع عندها فى الأكثر المتنزه ويطلب المتعفف فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروّة ومعنى البيت الثانى ظاهر •• فأما الثالث فالمراد به إنّي ممن اذا كره شيئاً تمكن من مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتقصر قدرته عن استدراك مايحب بما يكره •• وفيه فائدة أخرى وهي أنى ممن لا تملكه العادات وتقتاده الأهواء بل متى أردت مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك عليّ متعذراً من حيث كان لرأيي على هواي السلطان والرجحان •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن أُذينة نازلا مع أبي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه

إنّ الّتي زَعَمتْ فؤادَكَ ملَّها ... خُلِقَتْ هَواكَ كما خُلِقْتَ هوًى لها

فيكَ الّذي زَعَمتْ بها فكلاكما ... أبدَى لِصاحبِهِ الصّبابَةَ كلَّها

ولَعَمرُها لوْ كانَ حبُّكَ فوقَها ... يوماً وقدْ ضَحِيتَ إذًا لأظلَّها[1]

واذا وَجدتُ لها وَساوسَ سَلْوَةٍ ... شفعَ الضَّميرُ الى الفُؤادِ فسلَّها

بيضاءُ باكَرَها النَّعيمُ فصاغَها ... بِلَباقةٍ فأَدَقَّها وأَجَلَّها[2]

---

(١) هكذا هو هنا وقد نسب هذه الابيات بعض أهل الادب الى المجنون وأنشد البيت هكذا

اني لاكتم فى الحشا من حبها ... وجدا لو أصبح فوقها لاظلها

وأنشد بعده

ويبيت تحت جوانحي حب لها ... لو كان تحت فراشها لاقلها

(٢) ـ اللبقة ـ الحسنة الدل ـ وادقها ـ أى أدق خصرها ـ وأجلها ـ أى أجل عجيزتها أى جعلها عظيمة فالكلام على التوزيع وارجاع كل شيءٍ الى مايناسبه

لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّماً لِيَ حاجةً ... أخشى صُعوبَتَها وأرجو ذُلَّها
مَنَعَتْ تَحيَّتَها فقلتُ لِصاحبي ... ما كانَ أكْثَرَها لنا وأقَلَّها
فَدَنا فقالَ لَعَلَّها مَعذُورَةٌ ... في بَعضِ رِقبَتِنا فقلتُ لَعَلَّها

•• قال عروة بن عبيد الله فجاءني أبو السائب المخزومي يوماً فسلم عليّ وجلس اليّ فقلت له بعد الرحب به ألك حاجة يا أبا السائب فقال أو كما تكون الحاجة أبيات لعروة ابن أُذينة بلغني أنك سمعتها منه قلت أي أبيات قال وهل يخفى القمر * ان التي زعمت فؤادك ملّها * فأنشدته فقال ما يروي هذه إلاّ أهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلي الذي يقول

إنْ كانَ أهلُكِ يَمنعونَكِ رَغبةً ... عني فأهلي بي أضَنُّ وأرْغَبُ

لقد عدا الأعرابي طوره وإني لا رجو أن يغفر الله لابن أُذينة في حسن الظن بها وطلب العذر لها فدعوت له بطعام فقال لا والله حتى أروى هذه الأبيات فلما رواها وثب فقلت له كما أنت يغفر الله لك حتى تأكل فقال والله ما كنت لأخلط بمحبتي لها وأخذي إياها غيرها وانصرف •• [قال المرتضى] رضي الله عنه والهذلي الذي عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندل الهذلي •• وقول عروة ـ باكرها النعيم ـ أراد انها لم تعش إلاّ في النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق بؤساً فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك في جمالها وتمامها والبكور هو التقديم في كل وقت •• وكان عروة بن أُذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة •• وروي ان سكينة بنت الحسين عليهما السلام مرت به فقالت يا أبا عامر أنت الذي تقول

اذا وَجَدْتُ أُوارَ الحُبِّ في كَبِدي ... أقبلتُ نحوَ سِقاءِ القَومِ أبترِدُ
هَبْني بَرَدْتُ بِبَرْدِ الماءِ ظاهِرَهُ ... فمَنْ لِنارٍ على الأحشاءِ تَتَّقِدُ

•• وأنت القائل

قالتْ وأبثثتُها وجدي فَبُحتُ بهِ ... قد كنتَ عندي تُحِبُّ السَّترَ فاستَتِرِ

ألستَ تُبصِرُ مَنْ حولى فقلتُ لها غَطّى هوَاكِ وما ألقى على بَصَرِى

قال ثم قالت هن حرائر وأشارت الى جواريها ان كان خرج هذا من قلب سليم ..
وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى لعروة

كأنَّ خُزَامى طَلّةٍ صابَها الندى وفارةَ مسكٍ ضمّنتها ثيابُها

اذا اقتربت سُعْدَى لَهِجتَ بحبّها وإنْ تغترب يوماً يرعكَ اغترابُها

وكنتُ لذِكْراها أطيرُ صبابةً وغالبتُ نفساً زادَ شوقاً غلابُها

ففي أيّ هذا راحةٌ لكَ عندها سواءٌ لعمرى نأيُها واقترابُها

وعادَ الهوى منها كظلِّ سحابةٍ ألاحتْ ببرقٍ ثمَّ مرّ سحابُها

[قال المرتضى] رضى الله عنه وهيهات هذا البيت الأخير من قول كثير

وإنى وتَهْيامي بعزّةَ بعدَ ما تخلّيتُ ممّا بيننا وتخلّتِ

لكالمرْتَجي ظلَّ الغمامةِ كلّما تبوّأَ منها للمقيلِ اضمحلّتِ

كأنى وإيّاها سحابُ مُمْحلٍ رَجاها فلمّا جاوزَتْهُ استهلّتِ

..وروى يحيى بن علىّ قال حدثنا أبو هفّان قال أشعر أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة .. فأولها قول الكميت بن زيد

إنْ يحسُدُوني فإني لا ألومهمُ قبلي من النّاسِ أهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا

فدامَ لى ولهم مابي وما بهمُ ومات أكثرُنا غيظاً بما يجدُ

أنا الّذي يجدُوني في حُلوقهمُ لا أرتقي صدَرًا عنها ولا أَرِدُ

لاَ ينقصِ اللهُ حُسَّادى فإنّهمُ أسرُّ عندي من اللاّئي لهُ الوَدَدُ

.. وقال عروة بن أُذينة

لا يُبعِدِ اللهُ حُسّادي وزادَهمُ حتّى يموتوا بداءٍ فيَّ مكنونِ

إنّي رَأيتهمُ في كلِّ منزلةٍ … أجلُّ قدرًا منَ اللائي يحبُّوني

•• وقال نصر بن سيّار

إن يحسدُوني على مابي وما بِهِمُ … فمثلُ مابي لعمري جرّلي الحسَدَا

•• وقال معن بن زائدة

إني حُسِدتُ فزادَ اللهُ في حَسَدي … لا عاشَ من عاشَ يومًا غيرَ محسودِ

ما يحسَدُ المرءُ إلاّ منْ فضائله … بالعلمِ والظّرفِ أو بالبأسِ والجُودِ

[قال المرتضى] رضي الله عنه وقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله

مُحسَّدٌ بخلالٍ فيهِ فاضلةٍ … وليسَ يفترِقُ النّعماءُ والحسَدُ

وأظن أبا العتاهية أخذ قوله

كمْ عائبٍ لكِ لمْ أسمعْ مقالتهُ … ولمْ يزِدْكِ لدينا غيرَ تزيينِ

كأنَّ عائبكمْ يُبدي محاسنكمْ … وصفًا فيمدحكم عندي ويُغريني

ما فوقَ حبِّكِ حبٌّ لستُ أعلمهُ … فلا يضرُّكِ أنْ لا تستزيديني

من قول عروة بن أُذينة

لا بمدسُمْدي مُرِيحي من جوًى سقمٍ … يومًا ولا قُربُها إنْ حُمَّ يشفيني

اذا الوُشاةُ لحَوا فيها عصيتهمُ … وخِلتُ أنَّ بسُمْدى اليومَ يُغريني

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله

ما حطَّكَ الوَاشونَ من رُتبةٍ … عندي ولاَ ضرّكَ مُغتابُ

كأنّهمْ أثنَوا ولم يعلموا … عليكَ عندِي بالّذي عابوا

ولعروة بن أذينة

تُروِّعُنا الجنائزُ مقبلاتٍ … ونلهو حينَ تخفى ذاهباتِ

كَرَوْعةِ الأَلمغار ذِئبٍ فلما غابَ عادَتْ رَاتِعاتِ

ـ الثلة ـ القطعة من الضأن .. وهذا المعنى قد سبق اليه بعض الاعراب فقال

وَنُحدِثُ رَوعاتٍ لدى كلِّ فزْعةٍ ونُسرِعُ نسياناً وما جاءنا أمْنُ

وإنا ولا كُفرانَ للهِ رَبِّنا لكالبُدْنِ لا تدري متى يومُها البُدْنُ

أخذه أبو العتاهية في قوله

إذا ما رأيتمْ ميِّتَيْنِ فزعتمُ وإنْ غُيِّبوا مِلتُمْ إلى صبوَاتِها

وأخذ عروة بن أذينة قوله

إنّ الفتى مثلُ الهلالِ لهُ نورٌ ليالٍ ثمَّ يمتحقُ

يبلي وتُفنيهِ الدُّهورُ كما يَبلى ويَفنى الجِدَّةَ الخَلَق

من قول بعض شعراء طيء

مهما يكنْ رَيبُ الزَّمانِ فإنني أرى قمرَ الليلِ المُعذَّبَ كالفتى

يهِلُّ صغيراً ثمَّ يعظمُ ضَوْءُهُ وصورَتُهُ حتّى اذا ما هوَ استوَى

تقارَبَ يخبو ضوْءُهُ وشعاعُهُ ويمصحُ حتى يستسِرَّ فلا يُرَى

كذلكَ زَيدُ المرْءِ عندَ انتقاصهِ يعودُ إلى مثلِ الَّذي كانَ قد بَدَى

أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال

المرءُ مثلُ هلالٍ عندَ مطلعهِ يبدو ضئيلاً ضعيفاً ثمَّ يَتَّسقُ

يزْدادُ حتى اذا ما تمَّ أعقبَهُ كرُّ الجديدينِ نقصاً ثمَّ ينمحقُ

مجلس آخر ٣٢

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك

سليمان وما كفر سليمانُ ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحدٍ إلاّ باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئسما ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) •• فقال كيف ينزل الله تعالى السحر على الملائكة أم كيف تعلّم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله (ولقد علموا لمن اشتراه) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) •• الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لا يمعن النظر فيها •• أوّلها أن يكون ما في قوله (وما أنزل على الملكين) بمعنى الذى فكأنه تعالى أخبر عن طائفة من أهل الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب به الشياطين على ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله تعالى من قذفهم وأكذبهم في قولهم فقال وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتمويه على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين وأراد انهم يعلمونهم السحر والذى أنزل على الملكين وما أنزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا أحوال القبائح لنجتنبها لا لنواقعها لأن الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لمّا عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة يعني الملكين ومعنى يُعَلِّمان يَعْلِمَانِ والعرب تستعمل لفظة علمه بمعنى أعلمه •• قال القطامي

تَعلَّمْ أنَّ بَعدَ الغَيِّ رُشدًا وأنَّ لِشابِكَ الغِيَرِ انقشاعا

•• وقال كعب بن زهير

تَعلَّم رَسولَ اللهِ أنّكَ مُدرِكي وأنَّ وَعيدًا منكَ كالأخذِ باليَدِ

ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم والذى يدل ان المراد ههنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر أى انهما لايعرفانه صفات السحر وكيفيته إلاّ بعد أن يقولا انما نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كان محنة بحيث ألقيا الى المكلفين أمراً لينزجروا عنه وليتجنبوا من مواقعته وهم اذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا اليك فانه انما ألقى اليك واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه أى فيعرفون من جهتهما مايستعملونه في هذا الباب وان كان الملكان ما ألقياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه أن يفعلوه ويرتكبوه لا أن يجتنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضرراً عليهم •• وثانيها أن يكون ما أنزل موضعه موضع جرّ فيكون معطوفاً بالواو على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ماكذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين ومعنى ما أنزل على الملكين أى معهما وعلى ألسنتهما كما قال تعالى (ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) أي على ألسنتهم ومعهم وليس بمنكر أن يكون ما أنزل معطوفاً على ملك سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لأن رد الشيء الى نظيره وعطفه على ما هو أولى هو الواجب وان اعترض بينهما ماليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً) وقيم من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله (يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام) فالحرام ههنا معطوف على الشهر أي يسئلونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام •• وحكي عن بعض علماء أهل اللغة انه قال العرب تلف الحرفين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره كقوله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) وهذا واضح في مذهب العرب كثير التطابق ثم قال (وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة) والمعنى انهما لايعلمان أحداً بل ينهيان عنه ويبلغ من نهيهما وصدهما عن فعله واستعماله

أن يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهـذا كما يقول الرجل ما أمرت فلاناً بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له انك ان فعلته أصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة في الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لانه استغنى بقوله (وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا انما نحن فتنة) عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولذلك نظائر في القرآن قال الله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلهٍ إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) فلولا الاختصار لكان شرح الكلام بقوله ما اتخـذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله ولو كان معـه إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ومثله قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب) أي فيقال للذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم وأمثاله أكثر من أن تورد .. ثم قال تعالى (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وليس يجوز أن يرجع الضمير في هذا الجواب الى الملكين وكيف يرجع اليهـما وقد نفى عنهما التعليم بل يرجع الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقـدم أيضاً ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله ولكن الشـياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف عليـه مع السحر جائز وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى (سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى) أي يتجنب الذكرى الأشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيذكر .. ويجوز أيضاً أن يكون المعنى فيتعلمون منهـما أي بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا وكذا أي بدلا منه .. وكما قال الشاعر

جَمَعتَ مِنَ الخيرَاتِ وَطْباً وعُلْبةً ... وصَرّاً لأَخلافِ المُزَهَّمةِ البُزْلِ[1]

(١) ـ الصر ـ شدّ خلف الناقة بالخيط لئلا تحلب والناقة مصرورة ـ والاخلاف ـ جمع خلف وهو للناقة كالثدي للمرأة ـ والمزهمة ـ السمان الكثيرة الشحم ومنه الزهم .. قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها ... منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

ـ والبزل ـ جمع بازل وهو البعير اذا انشق نابه وذلك إنما يكون في السنة التاسعة

ومِنْ كلِّ أخلاقِ الكِرامِ نميمةً وسَعْياً على الجارِ المُجاوِرِ بالمحلِ

يريد جعت مكان الخيرات ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة ٠٠ وقوله مايفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان ٠٠ أحدهما أن يكونوا يغوون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجة الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفارق بينهما اختلاف النحلة والملة ٠٠ والوجه الآخر أن يسعون بين الزوجين بالغيبة والوشاية والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول أمرهما الى الفرقة والمباينة ٠٠ وثالث الوجوه أن تحمل ما في قوله وما أنزل على الجحد والنفي فكأنه تعالى قال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذى معناه التقديم ويكون [illegible] التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان أسماؤهما وانما ذكرا بعد [illegible] الناس تميزاً وتبييناً ويكون الملكان المذكوران اللذان نفى عنهما السحر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام الى سليمان بن داود عليه السلام فأكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ فى قوله تعالى (وكنّا لحكمهم شاهدين) يعنى حكم داود وسليمان ويكون قوله على هذا التأويل وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعاً الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين أو من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل قبيحاً أو قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول من لايستجيب والله لا حصلت إلاّ على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتهالك ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذى يتضمن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر بقوله وما أنزل على الملكين ويكون قوله وما يعلمان من أحد يرجع

الى قبيلتين من الجن أو الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا •• وقد روى هذا التأويل الأخير في حمل ماعلى النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين •• وروى عنه أيضاً انه كان يقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين بل كانا ملكين •• وعلى هذه القراءة في الآية وجه آخر وان لم يحمل قوله وما أنزل على الملكين على الجحد والنفي وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ماتتلو الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ماأنزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافاً الى الله تعالى وان أطلق لأنه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال العصاة ويكون معنى أنزل وان كان من الأرض حمل اليهما لا من السماء انه أتي به من نجود البلاد وأعاليها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى •• فأما قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلاّ باذن الله) فيحتمل وجوهاً •• منها أن يريد بالاذن العلم من قولهم أذنت فلاناً بكذا اذا أعلمته وأذنت لكذا اذا سمعته وعلمته •• قال الشاعر

في سَماعٍ يأذَنُ الشَّيخُ لهُ وحَديثٍ مِثلِ ماذِيٍّ مُشارِ[1]

•• ومنها أن تكون إلاّ زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من أحد باذن الله ويجري مجرى قول أحدنا لقيت زيداً إلاّ أني أكرمته أي لقيت زيداً فأكرمته •• ومنها أن يكون أراد بالاذن التخلية وترك المنع فكأنه أفاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين أحداً إلاّ بأن يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائداً على منعهم بالزجر والنهي •• ومنها أن يكون الضرر الذي عنى انه لايكون إلاّ باذنه وأضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية التي تطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل

---

(١) ــ الماذي ــ العسل الأبيض ــ ومشار ــ مجنى •• يقول ان غناءها لطيبه وحسنه يستمع الشيخ الحرم له ويصغي اليه وحديثها لحلاوته ورقته كأنه العسل الجيد والاصمعي يروي هذا البيت مثل ماذي مشار بالاضافة وفتح الميم قال والمشار الخلية

الله تعالى بالعادة لأن الأغـذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً وان كان العرض للضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض .. ومنها أن يكون الضرر المذكور انما هو يحصل عن التفريق بين الأزواج لانه أقرب اليـه فى ترتيب الكلام والمعنى انهم اذا أغووا أحـد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر لان الفرقة لم تكن إلاّ باذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفى الأديان فلهـذا قال وما هم بضارين به من أحد إلاّ باذن الله والمعنى انه لولا حكم الله وإذنه فى الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارّين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوى هذا الوجه ما روي انه كان من دين سليمان عليه السـلام انه من سحر بانت امرأته .. فأما قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) ففيه وجوه .. أولها أن يكون الذين علموا غـير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهـم بانهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهـم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سـليمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به أنفسـهم .. وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلاّ انهم علموا شيئاً ولم يعلموا غـيره فكأنه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب لمن اشـترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلمه كنه ما يصيروا اليه من عقاب الله الذى لا نفاد له ولا انقطاع .. وثالثها أن تكون الفائدة فى نفى العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك اليه خـير لك وأعود عليك ولو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر فى العواقب إلاّ انه لا يعمل بموجب علمه فحسن أن يقال له مثل هـذا القول .. قال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده

اذَا حَضَرَانى قُلتُ لوْ تَعلَمَانِهِ ... ألمْ تَعلَما أني مِنَ الزَّادِ مُرْمِلُ

فنفى عنهما العلم ثم أثبته بقوله ألم تعلما وانما المعنى فى نفيه العلم عنهما انهما لم يعملا بما علماه

فكأنهما لم يعلماه •• ورابعها أن يكون المعنى ان هؤلاء القوم الذين قد علموا ان الآخرة لاحظ لهم فيها مع علمهم القبيح إلاّ انهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى (ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ان الذي آثروه وجعلوه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل ومضمحل باطل وانما الملك الى المستحق فى الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[تأويل خبر] •• روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار •• وقد ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر وجوهاً كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وأنا أذكر مااعتمدوه وأبين مافيه ثم أذكر الوجه الصحيح •• قال ابن قتيبة ذهب الأصمعي الى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو ألقى في النار لم تحرقه وكنى بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تأويله هذا الحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت أبا امامة يقول اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن •• قل ابن قتيبة وفي الحديث تأويل آخر وهو ان القرآن لو كتب فى جلد ثم ألقى فى النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ذلك بعده قال وجرى هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم •• قال وفيه تأويل ثالث وهو أن يكون الاحراق انما نفى عن القرآن لا عن الاهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقى فى النار مااحترق القرآن فكأن النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لأن الله ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق •• وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري راداً على ابن قتيبة معترضاً عليه اعتبرت ماقاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً •• أما قوله الأول فيرده ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله يخرج من النار قوم بعد مايحرقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل •• قال وقد روي أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا دخل أهل الجنة

الجنة وأهل النار النار قال الله عزوجل انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه منها •• قال أبو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسلمين ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد فى دين الله ويقرأ القرآن أن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر أبي امامة ان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن معناه قرأ القرآن وعمل به فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده فانه غير واعله •• قال وأما قوله انه من دلائل النبوّة التي انقطعت بعده فما روى هذا الحديث أحد انه كان فى دلائله عليه الصلاة والسلام ولو أراد ذلك دليلا لكان صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه فى النار فلا يحترق •• قال وقول ابن قتيبة الثالث لاحترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذى يصحح هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب فى المصحف هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى ﴿ إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ﴾ ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو وانما يريد المصحف •• قال أبو بكر والقول عندنا فى تأويل هذا الحديث انه أراد لو كان القرآن فى جلد ثم ألقى فى النار ما أبطلته لانها وان أحرقته فانها لا تدرسه اذ كان الله عزوجل قد ضمنه قلوب الأخيار من عباده والدليل على هذا قول الله عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم فيما روى إنى منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب فى شئ ثم غسل بالماء لم ينغسل وانما أراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كانت القلوب تعيه وتحفظه •• قال ومثل هذا كثير فى كتاب الله وفى لغة العرب قال الله تعالى ﴿ يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ﴾ فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما أراد تعالى ولا يكتمون الله حديثاً فى حقيقة الأمر لانهم وان كتموه فى الظاهر فالذى كتموه غير مستتر عنه •• [قال المرتضى] رضى الله عنه والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانبارى جميعاً وهو ان هذا من كلام النبى صلى الله عليه وسلم على طريق المثل والمبالغة فى تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم

خطره والمعنى انه لو كتب في إهاب وألقى في النار وكانت النار مما لاتحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .. ولهذا نظائر فى القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومعنى الكلام إنا لو أنزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شئ أو خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فأنتم أولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بان الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومثله قوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا)

.. ومثله قول الشاعر

أَمَا وجلالِ اللهِ لوْ تذْكُرِينَني ... كذكرِكِ ما نَهْنَهْتِ للعينِ مَدْمَعَا

فقالتْ بَلَى واللهِ ذِكْرًا لوَ انَّهُ ... تَضَمَّنَهُ صُمُّ الصَّفَا لتَصَدَّعا

.. ومثله

فلو أنَّ ما بي بالحَصَى فلَقَ الحَصَى ... وبالرِّيحِ لمْ يُسمَعْ لهُنَّ هُبُوبُ

.. ومثله

وَقَفتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقتي ... فما زِلتُ أبكي عندَهُ وأُخاطِبُهْ

وأَسقيهِ حتى كادَ مِمَّا أُبثُّهُ ... تُكَلِّمُني أحجارُهُ وملاعِبُهْ

وهذه طريقة للعرب مشهورة فى المبالغة يقولون هذا كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويستنزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ولو كانت مما يسهل ويتيسر لشئ من الأشياء لتسهلت به من أجله .. فأما الجواب الأول المحكى عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائداً على ما رده ابن الانبارى انه لو كان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي

لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أغرانا بالذنوب لانه اذا أمن حافظ القرآن ومتعلمه من النار والعذاب فيها ركن المكلفون الى تعلم القرآن والاقدام على القبائح آمنين غير خائفين وهذا لايجوز عليه صلى الله عليه وسلم والمعنى في قول أبي امامة ان الله عز وجل لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري .. فأما جواب ابن قتيبة الثانى فمن أين له ان ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وسلم وليس فى اللفظ ولا غيره دلالة عليه وأقوى ما يبطله انه لوكان كما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين رووا جميع معجزاته وضبطوها وفى وجداننا من روى ذلك وجهه وعنى به غير عارف بهذه الدلالة آية إبطال ماتوهمه .. فأما جوابه الثالث فباطل لأن القرآن فى الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحراق الى الجلد دونه واذا كان الأمر على هذا لم يكن فى قوله ان الاهاب هو المحترق دون القرآن فائدة لأن هذه سبيل كل كلام كتب فى اهاب أو غيره اذا احترق الاهاب لم يضف الاحتراق الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه .. ومن أعجب الأمور قول ابن الانبارى وهذا يوجب أن القرآن غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان لفظ المكتوب هو القرآن وهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذى هو القرآن فاذا كان المكتوب فى المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانبارى فما المانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان أحداً لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قومٌ انه مكتوبٌ فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى أحدهما دون الآخر وهذا كله تخليطٌ من الرجلين لأن القرآن غير حال فى الجلد على الحقيقة وليست الكتابة عين المكتوب وانما الكتابة أمارة للحروف فاما أن تكون هي الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فيحال .. فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله لا تسافروا بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس يجب أن يجعل اطلاق الألفاظ المحتملة دليلا على اثبات الأحكام والمعانى ومعترضة على أدلة العقول وقد تجوز القوم بأكثر من هذا فقالوا فى هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان ألم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في الدفتر وقد بيّن الكلام في هذا

الباب في مواضع هي أولى به .. فأما جواب ابن الانباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه لانه لا مزيّة للقرآن فيما ذكره على كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ فى صدور الرجال اذا كتب فى جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب ما فى الصدور ومنه بل يكون ثابتاً بحاله فأى مزيّة للقرآن فى هذا على غيره وأي فضيلة .. فان قال وجه المزيّة انغير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان تعالى هو المتولي لايداعه الصدور لايتم ذلك فيه .. قلنا الكل سواء لأن غير القرآن انما يبطل باحتراق الاهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ فى الصدور ليطل بالاحتراق ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط فى بطلان القرآن وثباته فلا مزيّة على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه فى الخبر وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه .. أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدناه عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي عن عمه للحسين بن مطير الأسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما أُثِمَ منشده

أَلاَ حَبَّذَا البَيْتُ الَّذِي أَنتَ هاجِرُه ... وأنتَ بتَلْمَاحٍ مِنَ الطَّرْفِ ناظِرُه

لأَنَّكَ مِنْ بيتٍ لعَيْنَيَّ مُعجِبٍ ... وأملَحُ في عيْني مِنَ البيتِ عامِرُه

أَصُدُّ حَيَاءً أَنْ يَلِمَّ بِيَ الهَوَى ... وفيكَ المُنَى لولاَ عَدُوٌّ أُحاذِرُه

وفيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لوْ تَسْتَطِيعُه ... لَمَاتَ الهَوَى والشَّوْقُ حينَ تُجاوِرُه

فإنْ آتِهِ لمْ أَنْجُ إلاَّ بظِنَّةٍ ... وإنْ يأْتِهِ غيْرِي تَنُطْ بِي جَرائِرُه (١)

(١) ـ تنط ـ تربط وتعلق أي تسند ـ والجرائر ـ جمع جريرة وهي الذنب .. يقول ان آت هذا البيت رماني الناس بظنونهم وان أتاه غيري أضيف الي أى قال

وكانَ حَبيبُ النَّفسِ لِلقلبِ واتِرًا ... وكيفَ يُحِبُّ القلبُ مَنْ هوَ واتِرُه

فإنْ تكُنِ الأعداءُ أحموا كلامَهُ ... علينا فلنْ تُخفى علينا مَناظِرُه

أُحبُّكِ يا سلْمى على غيرِ رِيبةٍ ... ولا بأسَ في حُبٍّ تَعِفُّ سَرائرُه[١]

ويا عاذلي لولا نَفاسةُ حُبِّها ... عليكَ لَمَا باليتُ أنَّكَ خائرُه

بنفسيَ مَنْ لا بُدَّ أنيَ هاجِرُه ... ومَنْ أنا في المَيسورِ والعُسرِ ذاكِرُه

ومَنْ قدْ لَحاهُ النَّاسُ حتَّى اتَّقاهُمُ ... ببغضيَ إلاَّ ما تُجِنُّ ضمائرُه[٢]

أُحبُّكِ حُبًّا لنْ أُعنِّفَ بعدَهُ ... مُحِبًّا ولكنِّي اذا لِمْ عاذِرُه

اقدمات قبلي أوَّلُ الحبِّ فانقضى ... ولو متُّ أضحى الحبُّ قد ماتَ آخِرُه[٣]

كلامُكِ يا سلْمى وإنْ قلَّ نافِعي ... فلا تحسَبي أنِّي وإنْ قلَّ حاقِرُه

ألاَ لاَ أُبالي أيَّ حيٍّ تحمَّلوا ... اذا إثمدُ البرقاءِ لمْ يَخْلُ حاضِرُه[٤]

الناس إنه مرسل من قبلي لمراسلة من فيه

(١) ـ الريبة ـ الظنة والتهمة .. يقول أحبك حباً لا يخالطه سوء ولا يظن فيه شر .. وقوله ـ ولا بأس فى حب تعف سرائره ـ أى تعف سرائر صاحبه فاضاف السرائر للحب توسعا وانما هي للمحب ومثله فى القرآن الكريم عيشة راضية أى راض صاحبها

(٢) ـ لحاه ـ لامه واللاحي اللائم في الشيء المعنف عليه .. وقوله ـ الا ما تجن ضمائره ـ يريد به أنه يظهر للناس كراهتي وبغضي لكف ألسنتهم عنه وليس في قلبه الا محبتي

(٣) ـ يريد أن محبته لها ذهبت بسيرة من تقدمه من المحبين وانه لن يأتي بعده من يذكر بالمحبة وان حبه لن يضارعه حب من تقدمه ومن يأتي بعده

(٤) ـ تحملوا ـ يروى بدله تفرقوا ـ والبرقاء ـ اسم موضع في بادية الجزيرة .. يقول انه لايبالي رحيل من رحل من الناس اذا كان هذا الموضع عامرا بأهلهم يرحلوا

وأنشد ابن الاعرابي لابن مطير

لعمرُكَ بالبيتِ الذي لاَ نطورُهُ ... أحبُّ إلينا من بلادٍ نَطُورُها[1]
تقلَّبتُ في الإخوانِ حتى عرَفتهمْ ... ولاَ يعرفُ الإخوانَ إلاَّ خبيرُها
فلاَ أصرمُ الخِلاَّنَ حتى يُصارموا ... وحتى يَسيرُوا سيرَةً لاَ أسيرُها
فإنكَ بعدَ الشَّرِّ ما أنتَ واجدٌ ... خليلاً مُديعاً سيرَةً لاَ يُديرُها

معنى — يديرها — يقلبها مرة هنا ومرة هنا

وإنَّك في عينِ الأخلاَّء عالِمٌ ... بأَنَّ الَّذي يَخفَى عليكَ ضميرُها
فلاَ تكُ مغرورًا بسَنحةِ صاحبٍ ... منَ الودِّ لاَ تدري علاَم مَصيرُها
وما الجُودُ عن فقرِ الرِّجالِ ولاَ الغِنى ... ولكنَّهُ خِيمُ الرِّجالِ وخِيرُها
وقدْ تغدُرُ الدُّنيا فيُضحي غنيُّها ... فقيرًا ويَغنى بعدَ بُؤسٍ فقيرُها
وكائنْ ترَى مِنْ حالِ دُنيا تغيَّرَتْ ... وحالٍ صفَا بعدَ اكدرارٍ غديرُها
ومِنْ طامعٍ في حاجةٍ لَنْ ينالَها ... ومنْ يائسٍ منها أتاهُ يَسيرُها

لأنهم هم الذين يحبهم ويشفق من رحيلهم • • وفي بعض كتب الأدب بعد هذه الابيات

وبالبرق أطلال كأن رسومها ... قراطيس خط الحبر فيهن ساطره
أبت سرحة الانعاد الاملاحة ... وطيبا اذا مانبتها اهتز ناضره

(١) — نطوره — نحوم حوله • • يقول ان البيت الذى نجنبه ونتحاماه خوف الوشاة أحب الينا من البلاد التى نأتيها اذ لم يكن من نهوى فيها • • ومثل هذا قول الاحوص

يابيت عاتكة الذى اتعزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل
انى لامنحك الصدود وإننى ... قسما اليك مع الصدود لأميل

وَمَنْ يَتَّبِعْ مايُعْجِبُ النَّفْسَ لمْ يَزَلْ ... مُطيعاً لهافي فعلِ شيْ يَضيرُها
فنفسكَ أكرِمْ عن امورٍ كثيرةٍ ... فمالكَ نفسٌ بعدَها تستعيرُها(١)

[قال المرتضى] رضى الله عنه ولى في معنى قول ابن مطير ــ وقد تغدر الدنيا ــ والبيت الذي بعده من جملة قصيدة

وكيفَ آنَسُ بالدُّنياولستُ أرى ... إلاَّ امرأً قد تعرَّى من عَوارِيها
نَصبو اليها بآمالٍ مُخيَّبةٍ ... كأنَّنا ما نَرى عقبى أمانيها
في وَحشةِ الدَّارِممَّنْ كانَ يَسكنُها ... كلُّ اعتبارٍ لمنْ قدْ ظلَّ يأويها
لاَ تَكذِبَنَّ فما قلبي لهـا وَطَنٌ ... وقدْ رَأَيتُ طُلولاً منْ مَغانيها

•• وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أنشدنا عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد ابن يحيى ثعلب للحسين بن مطير

لقدْكُنتُ جَلْداقبلَ أنْ تُوقِدَ النَّوَى ... علي كَبِدي ناراً بَطيئاً خُمودُها
ولوْ تُرِكَتْ نارُ الهوَى لتَصَرَّمَتْ ... ولكنَّ شوقاً كلَّ يومٍ يَزيدُها
وقدْ كُنتُ أرجو أنْ تموتَ صَبابتي ... اذَا قَدُمتْ أحزانُها وعُهودُها
فقدْ جَعلتْ في حَبَّةِ القلبِ والحشا ... عِهادُ الهوَى تُولِي بِشوقٍ يُعيدُها
بمُرْتَجَّةِ الأَرْدَافِ هِيفٍ خُصورُها ... عِذابٍ ثَناياها عِجافٍ قُيودُها(٢)

---

(١) ــ يقول ان النفس لاتميل بطبعها الا الى الشرور فمن اطاع نفسه وانالها مشتهاها وقع فى شرور كثيرة وقادته الى مايضره

(٢) ــ مرتجة الارداف ــ يريدان أردافها ضخمة فهي اذا تحركت اضطربت اردافها ــ وهيف ــ جمع هيفاء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن ــ وعجاف ــ جمع عجفاء وهي النحيفة وهــذا الجمع شاذفان افعل وفعلاء لايجمع على فعال الا انهم بنوه على سمان

يعني انها مجاف اللثات وأصول الاسنان وهي قيودها •• قال أبو العباس ثعلب مجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله أن يكون نصباً لانه حال من الثنايا

مُخَصَّرَةِ الأَوساطِ زَانَتْ عُهُودَها ... بأَحسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهُ عُقودُها

وصُفْرٍ تَرَاقِيها وحُمْرٍ أَكُفُّها ... وسودٍ نَوَاصيها وبِيضٍ خُدُودُها

وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة أكفها من الخضاب

يُمَنِّينَنا حتَّى تَرُفَّ قلوبُنا ... رَفيفَ الخُزَامى باتَ طَلٌّ يَجودُها

أخذ •• قوله مخصرة الأوساط البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة

وتَزِيدِينَ طَيِّبَ الطِّيبِ طِيباً ... إِنْ تَمَسِّيهِ أَينَ مِثْلُكِ أَيْنَا

وإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجوهٍ ... كانَ للدُّرِّ حُسْنُ وَجهِكِ زَيْنَا

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذى ذكرناها للحسين بن مطير وروى له أيضاً ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة

وكُنتُ أذُودُ العينَ أنْ تَرِدَ البُكا ... فقدْ وَرَدَتْ ما كُنتُ عنهُ أذُودُها

هَلِ اللهُ عافٍ عنْ ذُنوبٍ تَسلَّفَتْ ... أَمِ اللهُ إنْ لمْ يَعفُ عَنْها مُعيدُها

وأنشد أبو محكم لابن مطير

قَضَى اللهُ يا أسماءُ أنْ لستُ بارِحاً ... أُحِبُّكِ حتَّى يَغمِضَ العينَ مُغْمِضُ

وحُبُّكِ بَلْوَى غيرَ أنْ لا يَسُرُّني ... وإنْ كانَ بَلوَى أنَّني لكِ مُبْغِضُ

اذا أنا رُضْتُ النفسَ في حُبِّ غيرِها ... أَتى حُبُّها مِنْ دُونِها يَتَعرَّضُ

فيا ليتَني أَقرَضتُ جَلْدًا صَبابتي ... وأَقرَضَني صَبرًا على الشَّوقِ مُقرِضُ

لانهم قد يبنون الشيء على ضده كقولهم عدوّة بالهاء لمكان صديقة ومجاف لا مانع من جعله صفة للمرأة وان انكره ثعلب

ويشبه أن يكون أخذ قوله اذا أنارُضت النفس في حب غيرها من قول رجل من فزارة

وأعرِضُ حتّى يحسبَ النّاسُ أنما ... بيَ الهجرُ لاَ واللهِ مابي لكِ الهجرُ

ولكن أرُوضُ النّفسَ أنظرُ هل لها ... اذَا فارَقتْ يوماً أحبّتَها صبرُ

أو من قول نصيب

وإنّي لأَستحيي كثيرًا وأتقي ... عَدُوًّا وأستبقي المَوَدَّةَ بالهَجْرِ

وأنذِرُ بالهُجْرانِ نفسِي أرُوضُها ... لأَعلمَ عندَ الهجرِ هَلْ لي من صبْرِ

ويشبه أن يكون أخذه قوله فياليتني أقرضت جلداً صبابتي البيت من قول بعض العرب

رَمَى قلبَهُ البرقُ المُلالي رَميةً ... بجَنبِ الحِما وَهناً فكادَ يَهيم

فهَلْ من مُعينٍ طرْفَ عينٍ خليّةٍ ... فإنسانُ عينِ العامِريّ كليمُ [(١)]

وللحسين في هذا المعنى مارواه المبرد

ولي كَبِدٌ مقرُوحةٌ مَنْ يَبيعُني ... بها كَبِدًا ليستْ بذاتِ قُرُوحِ

أباالنّاسُ وَيبَ النّاسِ لايَشترُونَها ... ومَنْ يشترِي ذاعلّةٍ بصحيحِ

وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال

مَنْ ذَا يُعيرُكَ عينَهُ تبكي بها ... أرَأيتَ عيناً للبُكاء تُعارُ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرّع قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الأصمعي فأنشده رجل أبيات دعبل

أينَ الشّبابُ وأيّةً سلَكا ... لاَ أينَ يُطلَبُ ضَلّ بَلْ هلَكا

لاَ تَعجَبي يا سَلْمُ منْ رَجلٍ ... ضَحكَ المَشيبُ برأسهِ فبَكَى

---

(١) ـ يقول انه يريد عينا غير عاشقة لينظر بها الى ديار أحبته فان طرفه مجروح سقيم من العشق لايستطيع أن ينظر به

أسلَمُ ما بالشَّيبِ منقصةٌ لاَ سُوقةً تُبقى ولاَ مَلِكا
قَصَرَ الغوايةَ عن هوَى قمرٍ وَجدَ السَّبيلَ اليكَ مُشترَكا
يا ليتَ شعرِي كيفَ يومُكما يا صاحبيَّ اذَا دَمي سُفِكا
لاَ تأخذَا بظلامَتِي أحَدًا قلبي وطرْفي في دَمي اشترَكا

قال فاستحسنها كل من في المجلس وأكثر التعجب من قوله — ضحك المشيب برأسه فبكى — فقال الأصمعي انما أخذ قوله هذا من ابن مطير فى قوله

أينَ أهلُ القبابِ بالدَّهناء أينَ جيرانُنا على الأحساء
جاوَرُونا والأرضُ مُلبَسةٌ نَوْرَ الأقاحي تجادُ بالأنواء[1]
كلَّ يومٍ بأقحوانٍ جديدٍ تضحكُ الأرضُ من بكاءِ السَّماء

وقد أخذه أيضاً مسلم بن الوليد صريع الغوانى فى قوله

مُستعبِرًا يبكي علي دِمنةٍ ورأسُهُ يَضحكُ في الشيبِ

••[قال المرتضي] رضى الله عنه ولأبي الحجناء نصيب الأصغر مثل هذا المعنى وهو قوله

فبكي الغَمامُ بهِ فأصبحَ رَوضُهُ جذلاَنَ يَضحكُ بالحَميمِ ويزْهرُ

ولابن المعتز مثله

ألحَّتْ عليهِ كلُّ طَخياء دِيمةٌ اذَا مابكَتْ أجفانُها ضحِكَ الزَّهرُ

ولابن دريد مثله

تبسَّمَ المُزنُ وانهلَّتْ مَدامعُهُ فأضحكَ الرَّوضَ جفنُ الضاحكِ الباكي

---

(١) — الدهناء — أرض من منازل تميم بنجد متسعة اذا أخصبت ربعت العرب جميعا لسعتها — والاحساء — ماء لغني ويروى البيت الاول

أين جيراننا على الاحساء أين جيراننا على الاطواء

وغازَلَ الشَّمسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلحَظُها بعينِ مُستَعبِرٍ بالدَّمعِ ضَحَّاكِ

وروى عن أبي العباس المبرد انه قال أخذ ابن مطير ٠٠ تضحك الأرض من بكاء السماء من قول دكين الزاجر

جَنَّ النَّباتُ في ذُرَاها وزَكَى وضَحِكَ المُزْنُ بهِ حتَّى بَكَى

مجلس آخر ٣٣

[تأويل آية]٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منــه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلهُ وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العــلم يقولون آمنّا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلاّ أولو الألباب) ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر وجهان مطابقان للحق ٠٠ أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوف على اسم الله تعالى فكأنه قال وما يعــلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم وانهــم مع علمهم به يقولون آمنّا به فوقع قوله يقولون آمنّا به في موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين آمنّا به كل من عند ربنا وهذا في غاية المدح لهم لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم ٠٠ والحجة لمن ذهب الى مابيناه والرد على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون قوله يقولون آمنّا بالله على هــذا التأويل لا ابتداء له مثل قوله (ما أفاء الله على رسوله من أهــل القرى فلله وللرسول ولذى القربى) الى قوله (شديد العقاب) فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتســمية من يستحق هذا الفيء فقال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) الي قوله الصادقون وقال في الذين تبوّؤا الدار والايمان فهم الأنصار يحبون من هاجر اليهــم ويؤثرون على أنفســهم وقال فيمن جاء بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهذه الآيات تدل على أنه لا ينكر في آية الراسخون في العلم أن يكون قوله يقولون آمنّا به حالا مع العلم بتأويله

المتشابه فلو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله والذين هاجروا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا في انه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به فان الصورتين واحدة .. ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمي برداً باعه [1] ثم ندم عليه

(١) قلت كان من حديث يزيد في بيعه غلامه بردا انه كان صحب زياد بن أبي سفيان فلم يحمده وأتى ابنه عبادا فرأى منه مايكره وكان عباد طويل اللحية عريضها فركب ذات يوم وابن مفرغ معه في موكبه فهبت ريح فنفشت لحيته فقال ابن مفرغ

ألا ليت اللحي كانت حشيشا   فترعاها خيول المسلمينا

فبلغ ذلك عبادا فحقد عليه وجفاه فقال ابن مفرغ

ان تركي ندى سعيد بن عثما   ن فتى الجود ناصري وعديدي

واتباعي اخا الرضاعة واللؤ   م انقص وفوت شأو بعيد

قلت والليل مطبق بعراه   ليتني مت قبل ترك سعيد

يريد سعيد بن عثمان بن عفان فانه استصحب يزيدا هذا حين ولي خراسان فلم يصحبه وعدل عنه الى زياد فلما قال ذلك أخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وعذبه وسقاه الزبد في النبيذ وحمله على بعير وقرن به خنزيرة وأمشاه بطنه مشياً شديدا فكان يسيل مايخرج منه على الخنزيرة فتصى فكلما صاءت قال ابن مفرغ

ضجت سمية لما مسها القرن   لاتجزعي إن شر الشيمة الجزع

وسمية أم زياد . ثم ان عبيد الله بن زياد دس اليه قوماً يقتضونه ويستعدون عليه فأمر ببيع ماوجد له في اعطاء غرمائه فكان فيما بيع له غلام يقال له برد يعدل عنده ولده وجارية يقال لها الاراكة فقال في برد الابيات التي ذكرها صاحب الكتاب وقال في الاراكة وفيه

يابرد مامسنا دهر أضربنا   من قبل هذا ولا بعناله ولدا

أما الاراك فكانت من محارمنا   عيشا لذيذا وكانت جنة رغدا

لولا الدعي ولولا مالعرض لي   من الحوادث مافارقتها أبدا

وشَرَيتُ بُرْدًا ليتني ... من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامَهْ

أو بُومةً تَدْعو صَدًا ... بينَ المُشَقَّرِ فاليَمامَهْ

الرِّيحُ تبكي شَجْوَها ... والبَرْقُ يَلمعُ في الغَمامَهْ

فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع فكأنه قال والبرق أيضاً يبكيه لامعاً فى غمامه أي فى حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفاً على الريح فى البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة • • ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ماتقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان قوله يكون يقولون آمنّا به استئناف جملة استغنى فيها عن حرف العطف كما استغنى في قوله يقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس فى الجملة الأولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسناً يتزل الملتبس منزلة غير الملتبس • • والوجه الثاني فى الآية أن يكون قوله والراسخون فى العلم مستأنفاً غير معطوف على ما تقدم ثم أخبر عنهم بانهم يقولون آمنّا ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأوّل لانه قد يسمى تأوّلا قال تعالى (هل ينظرون إلاّ تأويله يوم يأتى تأويله) المراد بذلك لا محالة المتأوّل والمتأوّل الذي لا تعلمه العلماء وان كان تعالى عالماً به كنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك فكأنه قال وما يعلم تأويل جميعه على المعنى الذي ذكرناه إلاّ الله والعلماء يقولون آمنّا به وقد اختار أبو عليّ الجبّائي هذا الوجه وقوّاه وضعف الأول بان قال قول الراسخين فى العلم آمنّا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم لانهم لايعرفون تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم ولأن ماذكره من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن اذ كان داخلا في خبر الله والراسخون فى العلم لايعلمون ذلك • • وليس الذي ذكره بشئ لانه لايمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه آمنّا به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن انهم لا يقولون ذلك إلاّ مع فقد العلم به وما المنكر من أن يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه ويحققه فأما قوله ولأن ماذكرناه من تأويل القرآن فذلك انما يكون تأويلا للقرآن اذا حملت هذه اللفظة على المتأول

لا على الفائدة والمعنى وأما اذا حملت على انه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته إلاّ الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه أن يقول ان حمل التأويل على المتأول أظهر من حمله على المعنى والفائدة لأن الأمر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى أظهر وأكثر فى الاستعمال وأشبه بالحقيقة على أنه لو قيل ان الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى من قوله من قبل انه لو كان المراد بالتأويل المتأوّل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم معنى لان فى متأوّل المحكم كاخباره عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه الا الله تعالى فأى معنى لتخصيص المتشابه والكلام يقتضى توجهه نحو المتشابه ألا ترى الى قوله (وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) فخص المتشابه بالذكر والأولى أيضاً أن يكون المراد بلفظة تأويله الثانية هو المراد بلفظة تأويله الأولى وقد علمنا ان الذين فى قلوبهم زيغ انما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا لتأويله الذى هي متأوله والوجه الأول أقوى وأرجح •• ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه على أن يكون قوله والراسخون فى العلم مستأنفاً غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا صحيح لان أكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لأدلة العقول فيذكر المتأول جيماً ولا يقطع على مراد الله منها بعينه لان الذى يلزم مثل ذلك أن يعلم في الجملة أن لا يرد من المعنى مايخالف الأدلة وان قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس فى تكليفنا أن نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى الذين تبين احتمالهما لوجوه كثيرة منها مايخالف الحق فنقطع على أنه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم فى الجملة انه قد أراد أحدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى المتشابه فان أكثرها يحتمل وجوهاً والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح ولا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون فى العلم يقولون آمنا به أى صدقنا بما نعلمه مجملا ومفصلا من المحكم والمتشابه وان الكل من عند ربنا وهذا وجه واضح •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبى الأزهر قال

أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حية النميري وهي أبيات مختارة

وخبَّرَكِ الوَاشونَ أنْ لا أُحبكُم ... بَلَى وستُورِ اللهِ ذَاتِ المَحارِمِ

أَصُدُّ وما الصَّدُّ الَّذي تَعرِفينَهُ ... عَزَاءٌ بنا إلاَّ اجتِرَاعُ العَلاقِمِ

حَياءً وبُقيَا أنْ تَشيعَ نَميمةٌ ... بنا وبِكمْ أُفٍّ لأهلِ النَّمائِمِ

وإنَّ دَماً لوْ تَعلمينَ جَنَيْتِهِ ... على الحيِّ جاني مِثلِهِ غيرُ سالِمِ

أَمَا إنَّهُ لوْ كانَ غيرُكِ أرْقَلَتْ ... صِعادُ القَنا بالرَّاعفاتِ اللَّهاذِمِ

ولكِنَّهُ واللهِ ما طَلَّ مُسلِماً ... كَبِيضِ الثَّنايا واضِحاتِ المَلاغِمِ

قال ثعلب ـ الملاغم ـ ما حول الفم •• وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض •• وقوله ـ ماطل مسلما ـ أي أبطل دمه

اذَا هُنَّ ساقَطنَ الحَديثَ حَسِبْتَهُ ... سُقُوطَ حَصَى المَرجانِ مِن سِلكِ ناظِمِ

ويروى ساقطن الأحاديث للفتى •• ويروى أيضاً ساقطن الحديث كأنه

رَمَينَ فأقصَدْنَ القُلوبَ فلا تَرَى ... دَماً مائراً إلاَّ جَوًى في الحَيازِمِ

[قال سيدنا رضي الله عنه] •• ومن مستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله

كأنْ لمْ أُبرِّحْ بالعُيونِ وأَقتَتِلْ ... بتَفتيرِ أبصارِ الصِّحاحِ السَّقائِمِ [1]

ولمْ أَلهَ بالحدَثِ الأَلَفِّ الَّذي لهُ ... غَدائِرُ لمْ يُحرَمْنَ فارَ اللَّطائِمِ [2]

---

(١) ـ أبرح ـ من برح به الأمر اذا لقي منه شدة والبرح الشدة ـ وتفتير ـ من الفتور وهو انكسار العين ـ والسقائم ـ جمع سقيمة وهي المريضة ولم يرد انها سقيمة من مرض وانما أراد ان بها من الضعف والفتور ما بالمريض وان لم تكن مريضة

(٢) ـ الحدث ـ الصغير السن ـ والألف ـ العظيم الفخذين ـ والغدائر ـ جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر ـ والفار ـ جمع فأرة يريد فأرة المسك ـ واللطائم ـ جمع لطيمة وهي المسك

اذا اللهوُ يُطبيني وإذ أستميلهُ ... بمحلولكِ الفودَين وحفِ المقادمِ [1]

وإذ أنا منقادٌ لكلِّ مقوَّدٍ ... إلى اللهوِ حلاَّفِ البطالاتِ آثمِ

وروى ابن حبيب مقود ومعنى ـ حلاف البطالات ـ أي حلاف في البطالات

مُهِينُ المطايا مُتلِفٌ غيرَ أنني ... على هُلْكِ ما أتلفتُهُ غيرَ نادمِ

أرى خيرَ يومَيَّ الخسيسَ وإن علا ... بيَ اللَّومُ لم أحفلْ ملامةَ لائمِ

ـ خير يومي الخسيس ـ أي أحب يومي الي الذي هو أخس عند أهل الرأي والعقل ..

وأنشد أبو اسحاق ابراهيم بن سيف بن الزيادي لأبي حية واسمه هيثم [2] بن الربيع

ترحَّلَ بالشبابِ الشيبُ عنَّا ... فليتَ الشيبَ كانَ بهِ الرحيلُ

وقد كانَ الشبابُ لنا خليلاً ... فقدْ قضَّى مآربَهُ الخليلُ

لعمرُ أبي الشبابُ لقدْ تولَّى ... حميدًا ما يُرادُ بهِ بديلُ

---

(١) ـ يطبيني ـ يستميلني ـ والمحلولك ـ الحالك اللون أي الذي لونه أسود ـ والفودان ـ تثنية فود وهو معظم شعر الرأس مما يلي الأذن وناحية الرأس ـ والوحف ـ الشعر الكثير الأسود ـ والمقادم ـ جمع قادمة وهو الناصية

(٢) قلت ذكره بعض الأدباء فقال كان أبو حيَّة يروي عن الفرزدق وكان كذاباً قال يوماً رميت ظبية فلما خرج السهم ذكرت بالظبية حبيبة لي فشددت خلف السهم حتى أخذت بقذذه .. وكان جباناً قال جار له اطلعت عليه يوماً وبيده سيف له قد انتضاه يسمى لعاب المنية ليس بينه وبين الخشب فرق وهو واقف على باب داره يقول إيهاً أيها المغتر بنا والمجترئ علينا بئس والله مااخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به ضربته لا تخاف نبوتها أخرج بالعفو عنك لاأدخل بالعقوبة عليك اني والله ان أدع قيساً تملأ الأرض خيلا ورجلا يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حرباً

إذِ الأيّامُ مقبلةٌ علينا ... وظلُّ أراكةِ الدُّنيا ظليلُ

وأنشد المبرد قال أنشدنا أبو عثمان المازنى لأبى حية

زَمانَ الصِّبا ليتَ أيّامنا ... رَجعنَ لنا الصّالحاتِ القِصارَا
زَمانَ عليَّ غُرابٌ غُدافٌ ... فطيَّرهُ الدّهرُ عنّى فطارَا
فلاَ يُبعِدِ اللهُ ذاكَ الغُرابَ ... وإنْ هو لمْ يُبْقِ إلاَّ ادّكارَا
كأنَّ الشَّبابَ ولذّاتهِ ... وريْقَ الصِّبا كانَ ثوباً مُعارَا
وهازئةٍ أنْ رأتْ لِمّتي ... تَفَرَّعَ شيبٌ بها فاستدارَا
وقلّدنى منهُ بعدَ الخطام ... عِذارًا فما أستطيعُ اعتذارَا
أجارتَنا إنَّ ريبَ الزّمانِ ... قَبلِيَ نالَ الرِّجالَ الخيارَا
فإمّا تَرَيْ لِمّتى هكذا ... فأسرعتِ فيها لشيبي النِّفارَا
فقد أرتدِي وحفَةً طَلَّةً ... وقدْ أبرُزُ والفتياتِ الخِفارَا

أما قوله — على غراب غداف — فأراد به الشباب والشعر الأسود . . ويشبه أن يكون مأخوذاً من قول الأعشى

وَما طِلابُكَ شيئاً لستَ تُدرِكُهُ ... إنْ كانَ عنكَ غُرابُ الجهلِ قد وَقعا

ولأبي حية من قصيدة أولها

ألاَ يا اسلمى أطلالَ خَنسا واْنعمى

وخنساء مِخماصُ الوشاحينِ مشيُها ... إلى الدَّوحِ أقتارُ خُطى المتجشّمِ [1]

(١) قوله — مخماص الوشاحين — أي هيفاء والوشاح تثنية وشاح وهو أديم عريض ترصعه المرأة بالجواهر فتشده بين عاتقها وكشحيها فاذا قالوا مخماص الوشاح أو غرثى الوشاح أرادوا أنها

أَلِمَّا بِسَلْمَى قَبْلَ أَنْ تَرْمِيَ النَّوَى ... بِنَافِذَةٍ نَبْضَ الفُؤَادِ المُتَيَّمِ
يَقِفْ عَاشِقًا لَمْ يَبْقَ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ ... وَلَا عَقْلِهِ المَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
فَقُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُحْ ... صَحِيحًا فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلْمِمِي
فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ ... بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفٍّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ ... فَتَنَاوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ[١]

واقوله — وقلن لها سراً فديناك لا يرح — خبر وهو ما أخبرنا به أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقطاني قال اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب أمر عليّ بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين القاسم ابنه وسمع شيئاً من أهاجيه فقال لأبي الحسين قد أحببت ان أرى ابن روميك هذا فدخل يوماً عبيد الله الى أبي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فأنشده وخاطبه فرآه مضطرب العقل جاهلا فقال لأبي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا أطول من عقله ومن هذه صورته لا تأمن عقاربه عند أول عتب ولا يفكر في عاقبته فأخرجه عنك فقال أخاف حينئذ أن يعلن مايكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكننا فقال يابنيّ إني لم أرد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت أبي حية النميري

هيفاء محل الوشاح — وأقتار — من أقتر في النفقة اذا ضيق فيها — والمتجشم — المتكلف للشيء ٠٠ يقول انها تمشي مشي إدلال كما يمشي من لا يستطيع المشي

(١) — النصيف — المئزر — واتقتنا باليد — أي حالت بيننا وبين النظر اليها بوضعها معصمها على وجهها يصف بذلك المتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكان النابغة يجلس الى النعمان وينادمه فدخلت المتجردة يوماً على النعمان وعنده النابغة وهي لا تعلم بمكانه فلما وقع بصرها عليه اضطربت واستحيت وسقط مئزرها فتناولته بيدها وسترت وجهها باليد الأخرى ويقال انها وضعت معصمها على وجهها فستره فلم يستبن منه شيء

فقلنا لها سِرًّا فديناكِ لا يَرُحْ ... سليماً وإنْ لم تَقتليهِ فألمي

فحدث القاسم ابن فراس بما جرى وكان أعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه بأهاج قبيحة فقال له الوزير أعزه الله أشار بان يغتال حتى يستراح منه وأنا أكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فمات .. قال الباقطاني والناس يقولون ما قتله ابن فراس وانما قتله عبيد الله .. قال ابن الرومي لما رجع الى داره وقد دب السم في أعضائه شعراً

أشرَبُ الماءَ إذَا ما تلتهِبُ ... نارأحشائي لإطفاءِ اللهَبْ

فأرَاهُ زَائدًا في حُرْقَتي ... فكأنَّ الماءَ للنَّارِ حَطَبْ

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لتخلصه من التكليف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول أبي حية

رَمَتْني وسِتْرُ اللهِ بيني وبينَها ... عَشيةَ آرَامُ الكِناسِ رَميمُ

ألاَ رُبَّ يومٍ لوْرَمَتْني رَميتُها ... ولكنَّ عَهدي بالنِّضالِ قَديمُ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد روي هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني وأصابتني بمحاسنها ولو كنت شابا لرميت كما رمت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح .. وأما الاستعانة فهي أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح وزناً أو لفظاً .. قال ومما يختار من قول أبي حية أيضاً

ألاَ حيِّ من أجلِ الحبيبِ المَغانيا ... لَبِسن البِلَى مما لَبِسنَ اللَّياليا[1]

إذَا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ... تقاضاهُ شيءٌ لاَ يَملُّ التقاضيا

(١) قوله – من أجل الحبيب – روى بدله من بعد الحبيب – والمغاني – جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم ظعنوا عنه وقوله – لبسن البلى – يريد ان طول العهد واختلاف العصرين عليها أخلق جدتها وطمس رسومها

ويقال ان أحسن ما وصف به المسواك قول أبي حيّة

لقد طالَ ما أعييْتُ رَاحلةَ الصبا … وعلّلتُ شيطانَ الغويّ المُشوّقِ

وداويتُ قرحَ القلبِ منهنّ بالمُنا … وباللحظِ لو يبذلُنَهُ المُتَسرّقِ

وساقينني كأسَ الهوى وسقيتُها … رقاقَ الثنايا عـذبةَ المُترّيّقِ

وخمصـانةٍ تفترُّ عن متنضّدٍ … كنوْرِ الأقاحي طيّبِ المتذوّقِ

ويروي عن متنسق يعني ثغراً على نسقٍ واحدٍ لا اختلاف فيه

اذا مضغتْ بعدامتتاعٍ من الضحى … أنابيبَ من عودِ الأراكِ المُخلّقِ

سقتْ شعثَ المسواكِ ماءَ غمامةٍ … فضيضاً بخرطومِ المدامِ المُروّقِ

ـ الامتتاع ـ الارتفاع يقال متع النهار وأمتع اذا طال ـ والمخلق ـ الذي علق به الخلوق والطيب من يدها ٠٠ وقال بعضـهم عنى بالمخلق المملس ـ والفضيض ـ الذى سال من الغمامة أي كأنه فض ـ والخرطوم ـ سلاف الخروهو أول مايخرج من غيرعصر ولادوس

وإنْ ذُقتَ فاها بعدما سقطَ الندى … بمطفىٍ بخنداةٍ رداحِ المُنطّقِ

ـ البخنداة ـ الضخمة ـ والرداح ـ العظيمة الأرداف

شممتُ العرارَ الطلَّ غِبَّ هميمِه … ونوْرَ الخزامى في الندى المترقرقِ

ـ العرار ـ بهار البر ـ والطل ـ الغض الطري ـ والهميمة ـ مطر ليّن ٠٠ وأخبرنا المرزباني قال حدثني عليّ بن هارون بن عليّ قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حية

نظرتُ كأني من وراء زجاجةٍ … الى الدّارِ من فرطِ الصبابةِ أنظرُ

بعينينِ طوراً يغرقانِ من البُكا … فأعشى وطوراً يحسرانِ فأبصرُ

فقال لو اعترضني ملك تجب طاعته ويلزم الانقياد لأمره فقال أي شـعر أجود وأولى بان يستحسن ولم يفسح لي في أن أميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيب وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن هذين البيتين ٠٠ ويقال ان أبا أحمد عبيد

الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتي أبي حية هذين بقوله

فلاَ مقْلتي ما غامرَ الماء تنجلي ولا دمعيَ من مُكْمِدِ الوجدِ تقطرُ

ولأبي حية

منَ المنكياتِ الجلدَ حتّي كأنّما يَسحّ بعينيهِ الدّموعَ شعيبُ

الشعيب مزادة من أدمين شعب أحدها بالآخر

لياليَ أهلانا جميعاً وحولَنا سوائمُ منها رائحٌ وغريبُ

وإذ يتجنّينَ الذّنوبَ وما لنا إليهنّ لولا وُدُّهنّ ذُنوبُ

ولأبي حيّة

أصدُّ عن البيتِ الحبيبِ وإنّني لأصغي إلى البيتِ الذي أتجنّبُ

أزورُ بيوتاً غيرَهُ ولأهلهُ علي ما عدَا عنهم أعزُّ وأقربُ

وقطّعَ أسبابَ المودّةِ معشرٌ غضابٌ وهل في أحسنِ القولِ مُغضِبُ

وإن لأنّي يا أمَّ عمرٍو نميمةٌ يدبُّ بها بيني وبينكِ عقربُ

وما بيننا لوْ أنّهُ كانَ عالماً بذاكَ الألى يولونَ ما يترتّبُ

حديثاً اذا لمْ يخشَ عيباً كأنّهُ اذا ساقطتهُ الشّهدُ بلْ هوَ أطيبُ

لوَ انّكِ تستشفي بهِ بعدَ سكرةٍ منَ الموتِ كادتْ سكرةُ الموتِ تذهبُ

وقلتُ لها ما تأمرينَ فإنّني أرى البينَ أدنى روعهُ يترقّبُ

قال محمد بن يحيى الصولي ولا أحسبه في قوله لو انك تستشفي به بعد سكرة إلا تبع قول توبة بن الحمير

ولوْ أنّ ليلى الأخيليّةَ سلّمتْ عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقى إليها صدىً من جانبِ القبرِ صائحُ

[قال المرتضى] رضى الله عنه وأوّل من سبق الى هذا المعنى فأحسن الأعشى فى قوله

غَهْدِي بِها فِي الحيِّ قد دُرِّعتْ صفراءَ مثلَ المُهرةِ الضَّامرِ
لو أسندَتْ مَيتاً الى نحرِها عاشَ ولمْ يُنقَلْ الى قابرِ
حتَّى يقولَ النَّاسُ مِمَّا رأوا واعجباً لِلميْتِ النَّاشرِ

ومعنى الناشر المنشور يقال أنشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق فهو مدفوق .. وقال بعض أصحاب المعاني ان الجارية التى وصفها أيضاً هي ميتة بمعنى أنها ستموت فيكون المعنى ان الناس عجبوا من أن يكون من يموت كيف ينشر الموتى ومن قال هذا أجاز نشر الله الموتي بمعنى أنشر والقول الأول أظهر وما نظن الأعشي عنى غيره

مجلس آخر ٣٤

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .. فقال لم خص اليوم بالقول وانما أراد العفو عنهم فى جميع مستقبل أوقاتهم .. الجواب قلنا فى هذه الآية وجوه أربعة .. أوّلها انه لما كان هذا الوقت الذى أشار اليه هو أوّل أوقاته التي كشف فيها نفسه لهم وأطلعهم على ما كان يستره عنهم من أمره أشار الى الوقت الذى لو أراد الانتقام لابتدأ به فيه والذى عفى فيه عنهم لم يراجع الانتقام .. وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخهم وعدد عليهم قبيح مافعلوه وعظيم ماارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم (لاتثريب عليكم اليوم) أى قد انقطع عنكم توبيخي ومضى عذلي ولائمي عند اعترافكم بالذنب وكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع المعاقبة والتوبيخ وعلى ان الأوقات المتصلة باليوم تجرى مجراه فى زوال الغضب وتمام

العفو وسقوط المراقبة لهم على ما سلف منهم .. وثالثها [1] ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالى والأيام والشهور والسنين كما يقول العربى لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم وفقت لتركها ومقتها يريد فى هذا الزمان ولا يريد يوماً واحداً بعينه ومثله قد كنت تقصر في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما يعجزك مسئلة ولا تتوقف عن جواب يريد باليوم باقي الزمان كله .. وقال امرؤ القيس

حلّتْ لِيَ الخمرُ وكُنتُ امْرَأً عن شُرْبِها في شُغُلٍ شاغلِ

فاليَومَ فاشرَبْ غيرَ مُستحقِبٍ إثماً منَ اللهِ ولاَ واغلِ [2]

لم يقصد يوماً بعينه .. ومثله

اليومَ يرحمُنا مَنْ كانَ يَغبطُنا واليومَ نَتبعُ مَنْ كانوا لنا تَبَعا

---

(١) — قلت هذا هو الجواب الصحيح وإيضاح ذلك ان العرب اذا أطلقت الليل فانما يريدون به سواد الليل من حين تغرب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واذا أطلقت اليوم فقد تريد به بياض النهار كما اذا قالوا جالست فلانا يوما وقد تريد به مطلق الوقت أيّ ساعة من ليل أو نهار كما فى قوله صلى الله عليه وسلم تلك أيام الهرج أى وقته وفرقان ما بين ذلك انهم اذا قرنوا به من الافعال ماله استمرار أرادوا منه بياض النهار كالمجالسة والمحادثة ونحوها مما يستوعب وقتاً طويلا واذا قرنوا به من الافعال ما ليس له استمرار بل هو من الافعال الآنية أرادوا به مطلق الوقت وعلى هذا الآية وما استشهد به المصنف من الشواهد الشعرية

(٢) — الواغل — الذي يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة فأما الذى يأتي الولائم من غير دعوة ليأكل فيسمي وارشا وراشنا والناس يسمونه طفيليا نسبة الى طفيل وهو رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتي الولائم من غير ان يدعى اليها وكان يقول وددت ان الكوفة كلها بركة مصهرجة فلا يخفى علي منها شئ

•• وقال لبيد

وما النَّاسُ إلاَّ كالدِّيارِ وأَهلِها بها يومَ حلُّوها وغَدْوًا بلاَقِعُ

كل ذلك لا يراد بذكر اليوم والقصد فيه الا جميع الأوقات المستقبلة •• ورابعها أن يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان المعنى غفر الله لكم اليوم •• وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله •• فأما معنى التثريب فان أبا عبيدة قال معناه لا تعيير ولا معاقبة ولا إفساد •• وقال الشاعر

فعفوتُ عنهم عفوَ غيرِ مُثرِّبٍ وتركتُهم لعقابِ يومٍ سَرْمَدِ

•• وقال أبو العباس ثعلب يقال ثَرَّب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه •• وقال بعضهم وهو ابن مسلم التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى أبعد غاياتها

[تأويل خبر] •• روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسب الزمارة •• وقال أبو عبيد قال حجاج الزَّمارة الزانية وقال مثل هذا مثل حديثه الآخر انه نهى عن كسب البغي •• قال أبو عبيد وقال غير حجاج هي الرَّمازة بتقديم الراء قال وقول حجاج أثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون إماءهم على البغاء فأنزل الله (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) قال فالعرض هو كسب البغي الذى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه •• قال أبو عبيد ولا أعلم من أخذت الرمازة غير أني وجدتها مفسرة فى الحديث •• وقال ابن قتيبة الأمر على ما ذكر أبو عبيد إلاّ ما أنكره على من زعم انها الرمازة لأن الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز أى تومئ بعينها وحاجبها وشفتيها •• •• قال الفرّاء وأكثر الرمز بالشفتين ومنه قوله تعالى (أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزا) فالرّمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار إسماً لها أو كالاسم ولذلك قيل لها

هلوك لانها تهالك على الفراش أو على الرجل ثم صار إسماً لها دون غيرها من النساء وإن تهالكت على زوجها وقيل لها خرنع للينها وتثنيها ثم صار ذلك إسماً لها دون غيرها من النساء وان لانت وتثنت ونحوه قولهم للبعير أعلم لشق في مشفره الأعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب أزل للرسح ثم صار كالاسم له والمرمزة لاتكاد تعلن بالكلام انما تومض أو ترمز أو تصفر •• قال الشاعر

رَمَزَتْ إليَّ مَخافةً مِنْ بَعلِها ... مِنْ غيرِ أنْ يَبدُو هُناكَ كلامُها

•• وقال الأخطل

أحاديثُ سَدَّاها ابنُ حَدْرَاءَ فرقدٌ ... ورَمَّازَةٌ مالتْ لِمَنْ يَستَميلُها

•• وقال الراجز

يومِئْنَ بالأعيُنِ والحَواجِبِ ... إيماضَ بَرْقٍ في عَماءٍ ناصِبِ (١)

ــ والعماء ــ السحاب ــ والناصب ــ البعيد •• وقال بعضهم انما قيل للفاجرة قحبة من القُحاب وهو السعال قال وأحسبه أراد أنها تتنحنح أو تسعل ترمز بذلك •• قال وبلغني عن المفضّل انه كان يقول في قول الناس أجبن من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف كل شيء •• وأما الأصمعي فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح •• وقال ابن قتيبة ولا أرى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت بن زيد الأسدي

أرجولكم أنْ تكونوا في إخائكمُ ... كلباً كَوَرْهاءَ تَقلي كلَّ صفّارِ (٢)

لمّا أجابتْ صَفيرًا كانَ آيتَها ... مِنْ قابسٍ شَيَّطَ الوَجْعاءَ بالنّارِ

---

(١) أنشده في اللسان في مادة رمز يومضن بالاعين والحواجب ــ والمعنى واحد ــ

(٢) ــ الورهاء ــ المرأة الحمقاء ــ وتقلي ــ تكره وتبغض ــ وآيتها ــ أي علامتها يريد ان ذلك كان علامة بينها وبين خليلها اذا جاء يريدها ــ والوجعاء ــ الاست ــ وشيط ــ يقولون شيط فلان اللحم اذا دخنه بالنار ولم ينضجه وشيط الطاهي الرأس والكراع

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها بهوصفر لها فأتته فشيطها بميسم فلما أعاد الصفير قالت قد قلينا كل صفار تريد انا قد عففنا وأطرحنا كل فاجر ٠٠ وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري والاختيار عندي الزّمارة معجمة الزاي على ما قال أبو عبيد لحجج ثلاث ٠٠ احداهن اجماع أصحاب الحديث على الزّمارة ٠٠ والحجة الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن ٠٠ قال عمرو ابن أحمر الباهلي يصف شراباً وغناء

دَنَانٍ حَنَّانَانَ بينَهُمَا رَجلٌ أجَشُّ غناؤُهُ زَمِرُ

٠٠ قال الأصمعي معناه غناؤه حسنٌ كأنه مزامير داود ٠٠ والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قولهم نعجة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروّة اذا كان قليلها ٠٠ قال ابن أحمر

مُطْلَنْفِئاً لونُ الحَصَى لونُهُ يَحجُرُ عنهُ الذَّرَّ رِيشٌ زَمِرْ

ـ المطلنفئ ـ اللصوق بالأرض ـ والذر ـ النمل ـ والزمر ـ القليل ٠٠ فسمي البغي زمارة على وجه الذم لها والتصغير لشأنها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال ٠٠ قال لبيد

فإنْ تتقدّمْ تَغشَ منها مقدَّماً غليظاً وإنْ أخّرتَ فالكِفْلُ فاجرُ[(١)]

أي مائل ـ والكفل ـ كساء يوضع على ظهر البعير يوقى من العرق ٠٠ [قال المرتضى]

اذا أشعل فيهما النار حتى يتشيط ما عليهما من الشعر والصوف ومنهم من يقول شوّط

(١) قلت قال لبيد ذلك يخاطب عمه أبا مالك وكان وقع بينهما ما يوجب العتب وقبل هذا البيت

فقلت ازدجر أحناء طيرك واعلمن بانك إنْ قدمت رجلك عاثر

فاصبحت أنى تأتها تلتبس بها كلا مركبيها تحت رجليك شاجر

ـ ازدجر ـ أزجر ـ وأحناء طيرك ـ أي جوانب طيشك ـ والشاجر ـ المختلف

رضى الله عنه ولا أرى لاحدي الروايتين على الأخرى رجحاناًلأن كل واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرجٌ فى اللغة وتأويل يرجع الى معنى واحد لان الرّمازة بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها بالزاي المعجمة فالمرجع فى معناها الى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانباري فالأولى أن يثبتا متساويين ويكون الراوى مخيّراً بينهما ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى

وما زِلتُ أزجو نفعَ سَلمى ووُدّها ... وتُبعدُ حتىَّ ابيضَّ مِنّي المَسائحُ

وحتّى رَأَيتُ الشَّخصَ يَزْدادُ مِثلُهُ ... اليهِ وحتّى نِصفُ رَأْسيَ وَاضِحُ

عَلاَ حاجِبيَّ الشَّيبُ حتي كأَنّهُ ... ظِباءٌ جَرَتْ مِنها سَنيحٌ وبارِحُ [١]

---

(١) يقول ان الشيب انتشر فى حواجبه فكأنه الظباء البيض انتشرت فى الصحراء فى كل صوب ــ والسانح ــ ما ولاك ميامنه ــ والبارح ــ ما ولاك مياسره ٠٠ قال ابن برى والعرب تختلف في العيافة يعني فى التيمن بالسانح والتشاؤم بالبارح فأهل نجد يتيمنون بالسانح قال ذو الرمة

خليلي لا لا قيتما ما حييتما ... من الطير الا السانحات وأسعدا

وقال النابغة

زعم البوارح ان رحلتنا غداً ... وبذاك تنعاب الغراب الاسود

وقال كثير وهو حجازى يتشاءم بالسانح

أقول اذا ما الطير مرت مخيفة ... سوانحها تجرى ولا أستثيرها

هـذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدى لغة الحجازي فن ذلك قول عمرو بن قيئة وهو نجدى

فبين على طير سنيح نحوسه ... واشأم طير الزاجرين سنيحها

وهزة أظعان عليهن بهجة طلبت وريعان الصبا بي جامح
فلما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح
وشدت على حدب المهارى رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
فقلنا على الخوص المراسيل وارتمت بهن الصحاري والصفاح الصحاصح

وأنشد ابن الاعرابي

قصدت بعيني شادن وتبسمت بجماء عن غر لهن غروب
جرى الإسحل الأحوى عليهن أوجرى عليهن من فرع الأراك قضيب

•• أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن الباهلي قال حدثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت له هذا والله يا أمير المؤمنين قول عروة بن حزام العذرى لعفراء

وإني ليعروني لذكراك روعة لها بين جلدي والعظام دبيب
وما هو إلا أن اراها فجاءة فأبهت حتى لا أكاد أجيب
وأصرف عن داري الذي كنت عارفاً ويعزب عني علمه ويغيب
ويضمر قلبي غدرها ويعينها علي فما لي في الفؤاد نصيب

فقال الرشيد من قال هذا وهماً فاني أقوله علماً ولله درك يا أصمعي فاني أجد عندك ما تضل عنه العلماء •• قال الصولي فأخذه العباس بن الأحنف فقال

يهيم بجرات الجزيرة قلبه وفيها غزال فاتر الطرف ساحره
يوازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي علي يوازره

وأشار اليه أيضاً في قوله

قلبي الي ما ضرّني داعي يُكثِرُ أحزاني وأوجاعي
كيفَ احتراسي مِن عَدُوّي اذا كانَ عدوّي بينَ أضلاعي

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال

أعانَ طَرْفي على جسمي وأعضائي بنظرةٍ وقفتْ جسمي على داءِ
وكنتُ غِرّاً بما تجني عليّ يدي لا عِلمَ لي أنّ بعضي بعضُ أعدائي

•• وقال البحتري

ولستُ أعجبُ مِن عِصيانِ قلبكَ لي يوماً اذا كانَ قلبي فيكَ يَعصيني

وروى أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الأصمعي يوماً ما أحسن ما قيل في صفة امرأة عجزاء خمصانة فأنشد قول الأعشى

صِفْرُ الوِشاحينِ ملءُ الدّرعِ بهكنةٌ اذا تأتّتْ يكادُ الخَصرُ ينخزِلُ

وأنشد قول علقمة بن عبدة

صِفْرُ الوِشاحينِ ملءُ الدِّرعِ خَرْعبةٌ كأنّها رَشأٌ في البيتِ مَلزُوم

وأنشد قول ذي الرمة

تَرى خلقَها نِصفاً قناةً قويمةً ونِصفاً نقاً يرتجُّ أو يترمرَمُ

فقال أحسن ما قيل فيه قول أبي وجزة السعدي

أدماءُ عيطلةٌ يكادُ رِداؤُها يقوى ويُشبِعُ ما أخبَّ إزارُها

قال عكرمة ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي

غرثانُ سمطُ وشاحِها قلقٌ ريّانُ مِنْ أردافِها المُرُطُ

•• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن ابراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان وقد حزن

عليه حزناً شديداً ولم يطعم ثلاثاً فأنشدته لابن اراكة الثقفي

لَعَمْري لئن أتبعت طَرْفك ما مَضى … من الدَّهر أو ساق الحِمامُ الى القبرِ

لَتستنفدنْ ماء الشؤون بأسرهِ … وإن كنت تَمريهن من ثَبج البَحْرِ

فقلتُ لعبدِ اللهِ إذ حنَّ باكياً … تعزَّ وماء العين منهمرٌ يجري

تبيَّنْ فإن كان البُكا رَدَّها لكاً … على أحدٍ فاجهدْ بُكاكَ على عمرو

ولا تبكِ ميتاً بعد ميتٍ أجنَّهُ … عليٌّ وعبَّاسٌ وآلُ أبي بكرِ

قال فأمر فجيء بالطعام فأكل من ساعته .. قوله ـ حن باكياً ـ معناه رفع صوته بالبكاء وقال قوم الخنين بالخاء معجمة من الأنف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من كل واحد منهما .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال سمعت الثوري يقول دخلنا مع الأصمعي الى اسماعيل بن جعفر ليلة في حاجة فأنشده الأصمعي أبيات ابن هرمة

أتيناكَ نَرجو حاجةً ووَسيلةً … لديكَ وقد تحظى لديك الوَسائلُ

ونذكرُ وُدّاً شدَّهُ اللهُ بيننا … على الدَّهرِ لم تذهب اليه الغَوائلُ

فاقسمُ ما أكبا زنادك قادحٌ … ولا أكذبت فيك الرَّجاء القوابلُ

ولا أرجعتْ ذا حاجةٍ عنك علَّةٌ … ولا عاقَ حُرّاً عاجلاً منكَ آجلُ

ولا لامَ فيك الباذلُ الوَجه نفسَهُ … ولا احتكمتْ في الجودِ منك المَباخلُ

لم يزد على هذه الأبيات فقضى حاجته وأجاب مسئلته .. [قال المرتضى] رضي الله عنه ويشبه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله * ولا كذبت فيك الرَّجاء القوابل * من قول الحزين الكناني في زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام

فلما تردَّى بالحمائل وانتهى … يَصولُ بأطرافِ القَنا والذَّوابلِ

تبيَّنتِ الأعداء أنَّ سنانَهُ ... يُطيلُ حنينَ الأُمَّهاتِ الثَّواكلِ

تبينَ فيهِ مبسمُ العزِّ والتقى ... وليدًا يفدَّى بينَ أيدي القوابلِ

٠٠ وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيي الصولي قال حدثني محمد بن الحسن الباذي قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال قال الرشيد يوماً بأصمعي أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ودع النابغة فانه يحتج ويعتذر فقلت ما أعرف ذلك إلاّ لبشر بن أبي خازم الأسدى فانه هجا أوس بن حارثة بن لام فأسره بعد ذلك فأراد قتله فقالت له أمه وكانت ذات رأي والله لا محا هجاءه لك إلاّ مدحه إياك فعفى عنه ٠٠ فقال بشر

وإني علي ما كانَ منّي لنادمٌ ... وإني إلى أوس بن لامٍ لتائبُ

فهبْ لي حياتي والحياةُ لقائمٍ ... يسرّكَ فيها حينَ ما أنتَ واهبُ

وإني إلي أوسٍ ليقبلَ توبتي ... ويعرفَ ودّي ما حييتُ لراغبُ

سأمحو بمدحٍ فيكَ إذ أنا صادقٌ ... كتابَ هجاءٍ سارَ إذ أنا كاذبُ

فقال الرشيد للأصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها ٠٠ وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم أحفل بهما ثم قال قلت هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب قال فاني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر فأقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء قال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد وأقبل على عيسى وقال والله لتعطين الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار فوجم عيسى وأنكر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين وأنشدت الرشيد

اذا شئتَ أنْ تلقى أخاكَ معبِّساً ... وجدَّاهُ في الماضينَ كعبٌ وحاتمُ

فكشّفهُ عمّا في يديهِ فإنما ... يُكشّفُ أخبارَ الرجالِ الدّراهمُ

قال فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور اعطه على بيت مال السرور ألفي دينار فأخذت

بالبيتين ألفى دينار وما كانا يساويان عندى درهمين

مجلس آخر ٣٥

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) .. الجواب قيل له قد ذكر فى هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها .. أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور لهج باستدنائه مما يجلب اليه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً ولهم عادة فى استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ماخلقت إلاّ من نوم وما خلق فلان إلاّ من شر أرادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما أنت إلاّ أكل وشرب وما أشبه ذلك .. قالت الخنساء تصف بقرة

تَرْتَعُ ما غفلتْ حتى اذا ادَّكَرَتْ فإنما هيَ إقبالٌ وإدبارُ

وانما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى فى موضع آخر (وكان الانسان عجولا) ويطابقه أيضاً قوله تعالى (فلا تستعجلون) لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شأنهم فعلها توبيخاً لهم وتقريعاً ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم فى الاستعجال وقادرين على التثبت والتأيد .. وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من أن في الكلام قلباً والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهد على ذلك بقوله تعالى (وقد بلغنى الكبر) أى قد بلغت الكبر وبقوله تعالى (ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة) والمعنى ان العصبة تنوء بها وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى استوى العود على الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود وبقول الأعشى

لمحقوقة أنْ تستجيبي لصوته وأنْ تعلمي أنّ المعانَ موفَّقُ

يريد أن الموفق لمان •• ويقول الآخر

عَلى العباآتِ هدَّاجُونَ قد بلغت ... نجرانَ أو بلغت سوآتِهِم هجرُ

والمعنى ان السّوآت هى التى بلغت هجر •• ويقول خداش بن زهير

وتُركبُ خيلٌ لا هوادةَ بينها ... وتشقى الرِّماحُ بالضياطرةِ الحمرِ (١)

يريد تشقى الضياطرة بالرماح •• ويقول الآخر

تمشي بهِ عوذُ النِّعاج كأنها ... عذارى ملوكٍ في بياض ثيابِ (٢)

يريد في ثياب بيض •• ويقول الآخر

حسرتُ كفّي عن السِّربالِ آخذهُ ... فرداً نخزٌ على أيدي المُفيدينا

يريد حسرت السربال عن كفي •• ويقول الآخر وهو ابن أحمر

وجُرْدٌ طارَ باطلُها نسيلاً ... وأحدثَ قومُها شعراً قصارا

أراد نسيلها باطلا •• ويقول الآخر

وقسورةٌ أكتافهم في قسيهم ... اذا ما مشوا لا يعمرونَ من النسا

أراد قسيهم فى أكتافهم •• ويقول الآخر

وهنّ من الإخلافِ والوَلَعانِ (٣)

أي الاخلاف والولعان منهن •• ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التقاضى عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له وما المعنى والفائدة فى قوله تعالى (خلق العجل من

---

(١) ـ الهوادة ـ اللين وما يرجى به صلاح الأمر ـ والضياطرة ـ جمع ضيطر وضوطر وهو الضخم العظيم

(٢) ـ عوذ ـ جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الظباء وكل أنثى ـ والنعاج ـ جمع نعجة وهي البقرة الوحشية

(٣) صدره * خلابة العينين كذابة المنى * ـ والإخلاف ـ خلف الوعد ـ والولعان ـ الكذب يقال ولع يلع ولعاً وولعاناً اذا كذب

الانسان) أيريدون بذلك ان الله تعالى خالق فى الانسان العجلة وهـذا لايجوز لان العجلة فعل من أفعال الانسان فكيف يكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك ماجاز أن ينهاهم عن الاستعجال فى الآية فيقول (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) لانه لاينهاهم عما خلقه فيهم •• فان قالوا لم يرد انه تعالى خالقها لكنه أراد كثرة فعل الانسان لها وانه لايزال يستعملها•• قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ماذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه •• وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب فى تفسيره واختاره وقواه وسأل نفسه عليه فقال كيف يجوز أن يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم وأجاب بانه قد اعطاهم قدرة على مغالبة طبائعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالتثبت قادرٌ على أن يجانب العجلة وذلك كخلقه فى البشر لشهوة النكاح وأمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع منه وهذا الذى ذكره البلخى تصريح بان المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي اليـه والشهوة المتناولة له ويجب أيضاً أن يكون المراد بمن ههنا فى لان شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون مخلوقة فيه وهـذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب أولا مجاز ثم هو من بعيـد المجاز وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من قام فى كذلك على انه تعالى اذا نهاهم عن العجلة بقوله عز وجل (فلا تستعجلون) أى معـنى لتقديم قوله خلقت شهوة العجلة فيهم أو الطبع الداعي اليها فيهم على ماعبر به البلخى وهذا الى أن يكون عذراً لهم أقرب منه الى أن يكون حجة عليهم وأيسر الأحوال أن لايكون عذراً ولا احتجاجاً فلا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير اضافة اليه عز وجل والجواب الأول أوضح وأصح •• وثالثها جواب روى عن الحسن قال يعني بقوله من عجل أى من ضعف وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب انكان في اللغة شاهد على ان العجل عبارة عن الضعف أو معناه ••ورابعها ماحكي ان أبا الحسـن الأخفش أجاب به وهو أن يكون المراد ان الانسان خلق من تعجيل الأمر لانه تعالى قال (إنمـا أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون)

٠٠فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون٠٠قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤها أعلمهم تعالى انه عن لا يعجزه شئ اذا أراده ولا يمتنع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤنة بان قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات ٠٠ وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين فكأنه تعالى قال خلق الانسان من طين كما قال تعالى في موضع آخر (وبدأ خلق الانسان من طين) واستشهد بقول الشاعر

والنَّبعُ يَنْبُتُ بين الصَّخرِ ضاحِيةً والنَّخلُ يَنْبُتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ

ووجدنا قوماً يطعنون في هـذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد حكي صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحمأة ولم يستشهد عليه إلاّ أن البيت الذي أوردناه يمكن أن يكون شاهداً له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وخالف في شئ من ألفاظه فرواه

والنَّبعُ في الصَّخرَةِ الصَّمَّاءِ مَنْبِتهُ والنَّخلُ يَنْبتُ بين الماءِ والعَجَلِ

واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى (فلا تستعجلون) على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات أو يكون المعنى انه لا يجب ان خلق من الطين المهين وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسل الله وآياته وشرائعه لانه تعالى قال قبل هذه الآية (واذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلاّ هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم) ٠٠ وسادسها أن يكون المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل أى من سرعة من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وانما ابتدأه الله تعالى ابتداء وأنشأه انشاء فكأنه تعالى نبه بذلك على الآية المعجبة في خلقه له وانه عز وجل يرى عباده من آياته وبيناته أوّلاً أوّلاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم ٠٠ وسابعها ما روى عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق آدم

بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس ·· وروى ان آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت الى أعالي جسده ولم يبلغ أسافله قال يارب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس ·· وثامنها ماروى عن ابن عباس والسدي ان آدم عليه السلام لما خلق وجعلت الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً الى أثمار الجنة ·· وقال قوم قد هم بالوثوب فهذا معنى قوله (خلق الانسان عجولاً) وهذه الأجوبة الثلاثة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره ·· [قال المرتضى] رضي الله عنه وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله

وَرُبَّ أُمورٍ قد بَرَيتُ لحاءها ... وقوّمتُ من أصلابها ثمَّ رُعتُها

اقيمُ بدارِ الحزمِ ما لم أُهَن بها ... فإن خفتُ من دارٍ هواناً تركتُها

واصلحُ جُلَّ المالِ حتى تخالني ... شحيحاً وإن حقٌّ عراني أهنتُها

ولستُ بولاّجِ البيوتِ لفاقةٍ ... ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتُها

أبيتُ عن لإدلاجِ في الحيِّ نائماً ... وأرضُ بإدلاجٍ وهمّ قطعتُها

ألا أيُّها الجاري سنيحاً وبارحاً ... تعرّضُ نفساً لو أشاء قتلتُها

تُعارضُ فخرَ الفاخرين بعصبةٍ ... ولو وُضعت لي في إناءٍ أكلتُها

وإنَّ لنا ربعيَّةَ المجدِ كلَّها ... موارثُ آباءٍ كرامٍ ورثتُها

اذا قصرت أيدي الرّجالِ عن العلا ... مددتُ لها باعاً عليها فنلتُها

وداعٍ دعاني للعلا فأجبتُهُ ... ودعوةُ داعٍ للصديقِ خذلتُها

ومكرُمةٍ كانت رعايةَ والدي ... فعلّمنيها والدي ففعلتُها

وعوراءَ من قيلِ امرىءٍ ذي قرابةٍ ... تصاممتُ عنها بعد ماقد سمعتُها

رجاءَ غدٍ أن يعطفَ الرَّحمُ بيننا ... ومظلمةٍ منهُ بجنبي عركتُها

اذَاماأُمورُالنَّاسِ رَثَّتْ وَضُيِّعَتْ وجَدْتُ أُموري كُلَّها قدْ زَمَمْتُها

وإني سأَلْقَى اللهَ لمْ أَرْمِ حُرَّةً ولمْ تأْتَمِنِّي يوْمَ سِرٍّ فخُنْتُها

ولاَ قاذِفٌ نفْسِي ونفْسِي بَرِيئةٌ وكَيفَ اعْتِذَارِي بَعْدَماقَدْقَذَفْتُها

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي ان رجلا من الأنصار حدثه قال قال مسكين الدارمي

ولستُ اذَامَاسَرَّنِي الدَّهرُ ضاحِكاً ولاخاشِعاًماعِشْتُ مِنْ حادِثِ الدَّهْرِ

ولاَ جاعِلاً عِرْضِي لمالِي وِقايةً ولكِنْ أَقِي عِرْضِي فيُحْرِزُهُ وَفْرِي

أَعِفُّ لدَى عُسْرِي وأُبدِي تَجَمُّلاً ولاَخيرَ فيمَنْ لاَ يَعِفُّ لدَى العُسْرِ

وإني لأَستَحْيِي اذَا كُنتُ مُعْسِرًا صَدِيقِي واخْوانِي بأَنْ يَعلَموافَقْرِي

وأَقطَعُ إخْوَانِي وما حالَ عَهْدُهُمْ حَياءً وإِعراضاً ومابِي مِنْ كِبْرِ

فإِنْ يَكُ عارًا ما أَتيتُ فرُبَّما أَتَى المرءَ يومُ السُّوءِ مِنْ حيثُ لاَيدْرِي

ومَنْ يفتَقِرْ يَعلَمْ مكانَ صَدِيقِهِ ومَنْ يَحْيَ لاَ يَعدَمْ بلاءً مِنَ الدَّهرِ

ومن مستحسن قوله

إِنْ ادْعَ مسكيناً فما قصُرَتْ قِدْرِي بُيوتُ الحَيِّ والجُدُرُ

قيل ان مسكيناً ليس باسمه وانما اسمه ربيعة وانما سمي بذلك لقوله

وسُمِّيتُ مِسكيناً وكانتْ لَجاجةً وإِني لَمِسكينٌ إلى اللهِ رَاغِبُ[1]

---

(١) سماه في كتاب الشعراء ربيعة بن عامر بن أنيف من بني دارم وقال كان في زمن معاوية رضي الله عنه وهو القائل فيه

اليك أمير المؤمنين رحلتها تثير القطا ليلا وهن هجود

ومعنى –قصرت قدرى– أى سترت يريد انها بارزة لاتحجبها السواتر والحيطان

ما مَسَّ رَحْلِي العَنْكَبوتُ ولاَ جَدَيَاتُهُ مِنْ وَضْعِهِ غُبُرُ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لأن العنكبوت انما تنسج على مالاتناله الأيدى ولا يكثر استعماله –والجديات– جمع جدية وهى باطن دفة الرحل

لاَ آخُذُ الصِّبْيَانَ أَلْثِمُهُمْ وَالأَمْرُ قَدْ يُغْرِي بِهِ الأَمْرُ

يقول لا أقبل الصبي وأنا أريد التعرض بأمه ومثله لغيره

ولاَ أُلْقِي لِذِي الوَدَعَاتِ سَوْطِي لأُلْهِيَهُ وَرِيبَتَهُ اريدُ[1]

وأنشد ابن الاعرابى مثله

اذَا رَأَيْتَ صَبِيَّ القَوْمِ يَلْثِمُهُ ضَخْمُ المَنَاكِبِ لاَعَمٌّ ولاَ خَالُ

على الطائر الميمون والجد صاعد لكل اناس طائر وجدود
إذا المنبر الغربى خلى مكانه فان أمير المؤمنين يزيد

•• وأنشد له

واذا الفاحش لاقى فاحشاً فهناكم وافق الشن الطبق
انما الفحش ومن يعتاده كغراب السوء ما شاء نعق
أو حمار السوء ان أشبعته رمح الناس وان جاع نهق
أو غلام السوء ان جوعته سرق الجار وان يشبع فسق
أو كغيرى رفعت من ذيلها ثم أرختــه ضراراً فانمزق
أيها السائل عما قد مضى هل جديد مثل ملبوس خلق

(١) قوله لذي الودعات الخ : ذو الودعات الطفل لانهم يعلقون عليه الودع : ومعنى وريبته أريد أي لا أريد ريبة أمه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ومثل هذا يحفظ ولا يقاس عليه لتخلف الشرط : والبيت من جملة أبيات لعقيل بن علفة المرى الجافي المشهور

فاحفظ صبيك منه أن يدنسه ... ولا يغرنك يوما كثرة المال

رجع الى تمام القصيدة

وَلَرُبَّ يومٍ قد تَرَكتُ وما ... بيني وبينَ لقائِهِ سِتْرُ
وَمُخاصمٍ قاوَمتُ في كَبَدٍ ... مثلِ الدِّهانِ فكانَ لي العُذرُ
وأَعابَني قومي بنو عُدُسٍ ... وهمُ المُلوكُ وخاليَ البِشرُ(١)
عمّي زُرارَةُ غيرُ مُنتَحلٍ ... وأبي الذي حُدِّثتَهُ عَمرُو
في المَجدِ غُرَّتُنا مبيّنَةٌ ... للناظرينَ كأنها البَدرُ
لا يَرهَبُ الجيرانُ غَدرَتَنا ... حتّى يُوارِيَ ذِكرَنا القبرُ
لَسنا كأقوامٍ إذا كَحَلَت ... إحدى السِّنينَ فجارُهُم تَمرُ

أى يستحلي الغدر به كما يستحلى التمر

مولاهُمُ لَحمٌ على وَضَمٍ ... تنتابُهُ العِقبانُ والنَّسرُ
ناري ونارُ الجارِ واحِدَةٌ ... واليهِ قَبلي يَنزِلُ القِدرُ

يقال كان له امرأة تماظه فلما قال ذلك قالت له أجل انما نارك وناره واحدة لانه أوقد ولم توقد والقدر ينزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه(٢)

---

(١) قوله قومى بنو عدس : كل عدس فى العرب بضم العين وفتح الدال إلا عدس ابن زيد هذا فانه مضموم العين والدال

(٢) ويروى من غير هذا الوجه انه كانت لمسكين امرأة وكانت فاركا كثيرة الخصومة والمماظة له فوقفت عليه وهو ينشد حتى اذا بلغ ناري ونار الجار البيت : قالت له صدقت والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلى بناره ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب فاذا شبع أطعمك أجل والله ان القدر لتنزل اليه قبلك فاعرض عنها فلما بلغ

ماضَرَّ جارِيَ إذْ أُجاوِرُهُ ... أَنْ لاَ يكونَ لِبيْتِهِ سِتْرُ

قال ويقال انها قالت له فى هذا البيت أيضاً أجل ان كان له ستر هتكته

أَعمَى إذَا ما جارَتي خَرَجتْ ... حتّي يُوارِي جارَتي الخِدْرُ

ويَصَمُّ عمّا كانَ بينهُما ... سَمْعِي وما بِي غيرَهُ وَقْرُ

وأنشد عمر بن شبة لمسكين أيضاً

لاَ تَجعلَنّي كأَقوامٍ علمتَهُمُ ... لاَ يَظلِموا لَبَّةً يوماً ولاَ وَدَجا

اني لأُغلاَهُمُ باللَّحمِ قد علِموا ... نَيّاً وأَرْخَصُهُمْ باللّحمِ إذْ نَضِجا

أَنا ابنُ قاتِلِ جوعِ القَومِ قد علِموا ... اذَا السَّماءُ كَسَتْ آفاقَها رَهَجا

يا رُبَّ أَمرَينِ قد فرَّجتُ بينَهما ... إذَا هُما نَشِبا في الصَّدرِ واعتَلَجا

أُدِيمُ خُلْقِي لمَنْ دَامتْ خَليقتُهُ ... فأَمزُجُ الحُلْوَ أَحياناً لِمَنْ مَزَجا

وأَقطَعُ الخَرْقَ بالخَرْقاءِ لاهيةً ... اذَا الكواكبُ كانتْ في الدُّجا سُرُجا

ما أَنزَلَ اللهُ من أَمرٍ فأَكرَهُهُ ... إلاّ سيَجعلُ لي من بعدِهِ فرَجا

ما مَدَّ قومٌ بأَيديهِمْ إلي شرَفٍ ... إلاّ رَأَونا قياماً فوقَهمْ دَرَجا

وأنشد أبو العباس ثعلب له

أُضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزالِ رَحلِهِ ... ويُخصِبُ عندِي والمكانُ جَدِيبُ

وما الخِصبُ للأَضيافِ أنْ يُكثِرُوا القِرَى ... ولكنَّما وَجْهُ الكَرِيمِ خَصيبُ

الى قوله : ما ضر جارى الخ البيت فلما قالت له هتكته وثب اليها يضربها وجعل قومه يضحكون منهما : المماظة شدة الخلق وفظاظته

وروي ثعلب أيضاً

لِحافي لِحافُ الضَّيفِ والبيتُ بيتهُ ... ولمْ يُلْهِنِي عنـهُ غزَالٌ مُقَنَّـعُ
أُحَدِّثُهُ أنَّ الحَدِيثَ مِنَ القِرَي ... وتَعلَمُ نفسِي أَنَّهُ سوفَ يَهْجَعُ

ومعنى ـ أحدثه ان الحديث من القرى ـ أي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا أعرض بمحادثته فأكون قد محقت قراي والحديث الحسن من تمام القرى .. وقال الاصمعي أحسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي

أَلاَ أَيُّها الغائرُ المُستَشيطُ ... علاَمَ تَغارُ اذَا لمْ تُغَرْ
فما خَـيرُ عِرسٍ اذَا خِفتَها ... وما خيرُ بيتٍ اذَا لمْ يُزَرْ
تَغارُ علي النَّاسِ أنْ ينظُرُوا ... وهلْ يَفْتِنُ الصالحاتِ النَّظَرْ
فإنِّي سأُخلِي لهـا بَيْتَها ... فتحفَظُ لي نفسَها أَو تَذَرْ
اذَا اللهُ لمْ يُعْطِهِ وُدَّها ... فَلَنْ يُعطيَ الوُدَّ سَوطٌ مُمَرّ
ومَنْ ذَا يُرَاعِي لهُ عِرسَهُ ... اذَا ضمَّهُ وَالمطِيّ السَّفَرْ

[قال رضي الله عنه] وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله

وإني امرُؤٌ لاَ آلَفُ البيتَ قاعِدًا ... الى جَنْبِ عِرسي لاَ أُفرِّطُها شِبْرا
ولاَ مقسِمٌ لاَ أَبرَحُ الدَّهرَ بيتَها ... لأَجعلَهُ قَبلَ المماتِ لها قَبْرَا
اذَا هيَ لم تُحصِنْ أمامَ قِبابِها ... فليسَ بمُنجيها بنائي لها قَصْرَا
ولاَ حامِلٌ ظَنِّي ولاَ قِيلُ قائلٍ ... على حائطٍ حتَّى أُحيطَ بها خُبْرَا
فهَبْني امرأً راعيتُ ما دُمتُ شاهِدًا ... فكيفَ اذَا ما سِرتُ منْ بيتِها شَهْرا

وأنشد أبو العيناء عن أبي العالية لمسكين

ما أحسنَ الغيرَةَ في حينِها ... وأقبحَ الغيرَةَ في غيرِ حِينِ
مَنْ لمْ يَزَلْ متهماً عِرسَهُ ... مُناصِباً فيها لوَهْمِ الظُّنونِ
يُوشِكُ أنْ يغرِيَها بالذي ... يَخافُ أو يَنصِبَها لِلعيونِ
حَسْبُكَ مِنْ تحصينِها ضمُّها ... منكَ إلى خُلُقٍ كريمٍ ودِينِ
لاَ تَظهَرَنْ منكَ على عوْرَةٍ ... فيتبعُ المَقرُونُ حبْلَ القَرِينِ

مجلس آخر ٣٦

[تأويل آية]: إن سأل سائل عن قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام (ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) فقال هل يسوغ ما تأول بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسف عليه السلام عزم على المعصية وأرادها وانه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن ذلك بان رأى صورة أبيه يعقوب عاضاً على إصبعه متوعداً له على مواقعة المعصية أو بأن نودى له بالنهي والزجر فى الحال على ما ورد به الحديث .. الجواب قلنا اذا ثبت بأدلة العقول التى لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات ان المعاصى لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب أو سنة الى ما يطابق الأدلة ويوافقها كما يفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفاً لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه أو لا يجوز ولهذه الآية وجوه من التأويل كل واحد منها يقتضى براءة نبي الله من العزم على الفاحشة وارادة المعصية .. أولها ان الهم فى ظاهر الآية متعلق بما لا يصح أن يعلق به العزم أو الارادة على الحقيقة لانه تعالى قال (ولقد همت به وهمّ بها) فعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز أن يراد أو يعزم عليهما لان الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلابد من تقدير محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن أن يكون ما تعلق به همه عليه السلام

انما هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما يقول القائل كنت هممت بفلان وقد هم فلان بفلان أى بان يوقع به ضرباً أو مكروها .. فان قيل فأى معنى لقوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها .. قلنا يمكن أن يكون الوجه فى ذلك انه لما هم بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على انه ان أقدم على ماهم به أهلكه أهلها أي قتلوه أو انها تدعي عليه المراودة عن القبيح وتقذفه بأنه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بان مثله لايجوز عليه فأخبر الله تعالى بانه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء يعنى بذلك القتل والمكروه الذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح أو يعنى بالسوء والفحشاء ظنهم بذلك .. فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بضربها ودفعها وتقديم جواب لولا قبيح غير مستعمل أو يقتضى أن تكون لولا بغير جواب .. قلنا أما تقدم جواب لولا فجائز وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير أنا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لأن العزم على الضرب والهم بالضرب قد وقع إلاّ انه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب فى قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم) معناه لولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ومثله (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) معناه لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا فى الدنيا وتتفاخروا بها .. وقال امرؤ القيس

فلوْ أنَّها نفسٌ تموتُ سويةً ولكنَّها نفسٌ تساقطُ أنفُسا

أراد فلو أنها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب على ان من تأول هذه الآية على الوجه الذى لا يليق بنبي الله وأضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا أن رأى برهان ربه لفعله .. فان قيل قوله هم بها كقوله همت به فلم جعلتم همها متعلقاً بالقبيح وهمه بها متعلقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره .. قلنا أما الظاهر فلا يدل على ما تعلق الهم به

والعزم فيهما جميعاً وانما أثبتنا همها به بأن يكون متعلقاً بالقبيح لشهادة الكتاب والآثار به وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤثر دليل في امتناعه عليها كما أثر ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله في ضلال مبين) وقوله تعالى (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب) وقوله (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفســه فاستعصم) والآثار واردة باطباق مفسري القرآن ومتأوليه على انها همت بالفاحشة والمعصــية .. والوجه الثاني في تأويل الآية أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقــد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا أني تداركتك وقتلت لولا أني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل .. قال الشاعر

فلاَ تدعُني قَومي صَرِيحًا لِحُرَّةٍ ... لَأَنْ كُنتُ مَقتولاً ويَسلَمُ عامِرُ

.. وقال آخر

فلاَ تدعُني قَومي لِيوم كَرِيهةٍ ... لئنْ لمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أو أُعجَّلِ

فقدم جواب الشرط في البيتين جميعاً[1] وقد استشهد عليه أيضاً بقوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لَهَمَّت طائفة منهم أن يضلوك) والهم لم يقع لمكان فضل الله ورحمته ومما يشهد لهذا التأويل ان في الكلام شرطاً وهو قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم أن يجعلوا جواب لولا محذوفاً

---

(١) هذا الذي اعتمده يخالف مذهب جمهور البصريين فان جواب الشرط عندهم لا يتقدم فاذا تقدم ما هو جواب في المعنى فهو دال عليه وليس إياه وهو محذوف: وذهب الكوفيون والمبرد وأبو زيد الى جواز تقديمه ولا حذف عندهم في مثل ذلك

مقدراً لأن جعل جوابها موجوداً أولاً : وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك لجاز قام زيدٌ لولا عمرو وقصدتك لولا بكرٌ وقد بينا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذى ذكروه لايشبه بما أجزناه وقد يجوز أن يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدتك لولا أن صدنى فلان وان لم يقع قيامٌ ولا قصد وهذا الذي يشبه الآية وليس تقديم جواب لولا بأبعد من حذف جواب لولا جملة من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف .. والجواب الثالث ما اختاره أبو عليّ الجبائي وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو أن يكون معنى هَمَّ بها اشتهاها ومال طبعه الى مادعته اليه وقد يجوز أن يسمي بالشهوة في مجاز اللغة هماً كما يقول القائل فيما لا يشتهيه ليس هذا من همّى وهذا أهمّ الأشياء اليّ ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبيح بتناول المشتهى .. وقد روى هذا الجواب عن الحسن البصرى قال أما همّها فكان أخبث الهم وأما همّه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) متعلق بمحذوف كأنه قال لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل .. والجواب الرابع ان من عادة العرب أن يسموا الشئ باسم ما يقع في الأكثر عنده وعلى هذا لاينكر أن يكون المراد يهم بها أى خطر بباله أمرها ووسوس اليه الشيطان بالدعاء اليها من غير أن يكون هناك همٌّ أو عزمٌ فسمى الخطور بالبال هماً من حيث كان الهم يقع فى الأكثر عنده والعزم في الأغلب يتبعه وانما أنكرنا ما ادعاه جهلة المفسرون وحرفوا القصاص وقذفوا به نبي الله عليه السلام لما ثبت في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث كان منفراً عنهم وقادحاً في الغرض المجري اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لانه تعالى قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الأخذ فيه والشروع فى مقدماته وقوله تعالى أيضاً (انه من عبادنا المخلصين) يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهن (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) يدل أيضاً على أنه برىء من القبيح

•• فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفاً لطف الله تعالى له به في تلك الحال أو قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها ويحتمل أيضاً ماذكره أبو علي وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك وعلى أن من فعله يستحق العقاب وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنه الجهّال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له والنداء له بالزجر والتخويف لأن ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضي أن لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا سوء ثناء على الأنبياء واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم والحمد لله على حسن التوفيق •• روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطمّاس قال كنت يوماً عند عمي ابراهيم بن العباس فدخل اليه رجل فقربه حتى جلس الى جانبه أو قريباً منه ثم حادثه الى ان قال له عمي يا أبا تمام ومن بقي ممن يعتصم به ويلجأ اليه فقال أنت لاعدمت وكان ابراهيم طويلا أنت والله كما قيل

يَمُدُّ نِجادَ السَّيفِ حتَّى كأنهُ ... بأعلى سَنامَيْ فالجٍ يتطوَّحُ

ويَدلِجُ في حاجاتِ من هو نائمٌ ... ويُوري كَرِيعاتِ النَّدَى حين يقدَحُ

اذا اعتمَّ بالبُرْدِ اليَمانيِّ خِلتَهُ ... هلالاً بدا في جانبِ الافقِ يلمحُ

يَزيدُ على فضلِ الرِّجالِ فضيلةً ... ويقصُرُ عنه مَدْحُ من يتمدَّحُ

فقال له ابراهيم أنت تحسن قائلا وراوياً ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت له أكتبني الأبيات فقال هي لأبي الجويرية العبدي نخذها من شعره •• وروى عن يحيى بن البحتري قال رأيت أبي يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بعمان من الشعر فمر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فأنشدوا انشادات كثيرة فقال لهم أبي قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال

أَحسِبُ النَّوْمَ حَكَاكا ... إذ رأى مِنكَ جَفاكا

منّيَ الصبْرُ ومنكَ الـ ... ـهَجْرُ فابلغ بي مَدَاكا

بَعُدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ　　طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَاكَا
أَوَ مَا حَسْبُ لِعَيْنِي　　أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ رَآكَا
لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ أَنْ　　تَعْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَاكَا

قال أبي انه تصرف فى معانٍ من الشعر فى هــذه الأبيات قال فكتبها عنــه جماعة من حضروا والأبيات لابراهيم بن العباس الصولى ٠٠ وأخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال لما بايع المأمون لعلىّ بن موسى الرّضا عليهما الســلام بالعهد وأمر الناس بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن علىّ الخزاعى وابراهيم بن العباس الصولى وكانا صديقين لا يفترقان فأنشده دعبل

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ　　وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفِرِ العَرَصَاتِ

وأنشده ابراهيم بن العباس الصولى على مذهبهما قصيدة أولها

أَزَالَ عَزَاءَ القَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ　　مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

قال فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التى عليها اســمه وكان المأمون أمر بضربها فى ذلك الوقت فأما دعبل بن علىّ فصار بالشطر منها الى قم فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة ألف درهم ٠٠ وأما ابراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولى ولم أقف من قصيدة ابراهيم على أكثر من هذا البيت ٠٠ قال وكان السبب فى ذهاب هذا الفن من شعره ماحدثنى أبو العباس أحمــد ابن محمد بن الفرات والحســين بن علىّ الباقطانى قالا كان ابراهيم بن العباس صــديقاً لاسحاق بن ابراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن فأنسخه شــعره فى علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام وقد انصرف من خراسان ودفع اليه شيئاً بخطه منه وكانت النسخة عنده الى ان وُلّى المتوكل ووُلّى ابراهيم بن العباس ديوان الضــياع وقد كان تباعد مابينه وبين أخى زيدان فعزله عن ضــياع كانت فى يده بحلوان وغيرها وطالبه بمال وألحّ عليه وأساءمطالبته فدعا اسحاق بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض

الى ابراهيم بن العباس فاعلمه ان شعره فى علىّ بن موسى بخطه عندى وبغير خطه والله لئن استمر على خلفى ولم يُزل عن المطالبة لأوصلن الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل الى ابراهيم بن العباس فأخبره بذلك فاضطرب اضطراباً شديداً وجعل الأمر الى الواسطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به وأخذ الشعر منه وأحلفه انه لم يبق عنده منه شئ فلما حصل عنده أحرقه بحضرته .. وذكر أبو أحمد بن يحي بن علىّ المنجم ان أباه علىّ بن يحي كان الواسطة بينهما .. قال الصولى وما عرفت من شعر ابراهيم فى هذا المعنى شيئاً إلاّ أبياتاً وجدتها بخط أبي قال أنشدني أخي لعمه فى علىّ ابن موسى الرضا عليهما السلام من قصيدة

كَفَى بِفِعَالِ امرِئٍ عالِمٍ على أهلِهِ عادِلاً شاهِدَا
أرَى لهمُ طارِفاً مُؤْنِقاً ولاَ يُشبِهُ الطَّارِفُ التَّالِدَا
يُمَنُّ عليكم بأَموالِكم ويُعطونَ من مئةٍ واحدَا
فلا حَمِدَ اللهُ مستبصِرًا يكونُ لاعدائكم حامِدَا
فَضَلْت قسيمَكَ في قعدَدٍ كما فضلَ الوالدُ الوالِدَا

قال الصولي فنظرت فوجدت علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام والمأمون متساويين فى قعدد النسب وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً .. وروى الصولى ان منشداً أنشد ابراهيم بن العباس وهو في مجلسه فى ديوان الضياع

ربما تكرهُ النفوسُ من الأمـ ـرِ له فَرْجةٌ كحلّ العقَالِ

قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال

ولربَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتَى ذَرْعاً وعندَ اللهِ منها مخرجُ
كَمُلتْ فلمّا استحكمت حلقاتُها فُرِجت وكانَ يظنها لا تُفرجُ

فعجب من جودة بديهته .. وأخبرنا أبو الحسن علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنى محمد بن يحي الصولى قال حدثني القاسم بن اسمعيل أبو ذكوان الراوية قال كنت

بالاهواز أيام الواثق وابراهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصفت له بالأدب فأمر باحضاري فلما دخلت عليه قرّب مجلسي وقال تناسب أنس المطاولة فان الاستمتاع لا يتم إلاّ به فأنبسطت وتساءلنا عن الأشعار فما رأيت أحداً قط أعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك في قول النابغة

ألم ترَ أنّ الله اعطاكَ سوْرَةً ترى كلّ مَلْكٍ دونها يتذبذبُ
فانكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ اذا طلَعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ

فقلت أراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خبء وهو انه اعتذر الى النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم فقال انما فعلت هذا لجفائك بي فاذا صلحت بي لم أرد غيرك كما ان من أضاءت له الشمس لم يحتج الى ضوء الكواكب فأتى بعتبين بهذا وبتفضيله قال فاستحسنت ذلك منه ٠٠ وكان ابراهيم بن العباس من أصدق الناس لأحمد بن أبي داود فعتب على ابنه أبي الوليد من شيءٍ قدمه ومدح أباه وأحسن في التخلص كل الاحسان فقال

عفَتْ مساوٍ تبدّتْ منك واضحةً على محاسنَ بقّاها أبوكَ لكا
لئن تقدّم أبناءُ الكرامِ به لقد تقدّمَ أبناءُ اللئامِ بكا

٠٠ ولابراهيم

تمرُّ الصَّبا صفحاً بساكنِ ذي الغضا ويصدعُ قلبي أن يهبّ هبوبُها
قريبةُ عهدٍ بالحبيبِ وإنما هوى كلِّ نفسٍ حيثُ كانَ حبيبُها
تَطَلّعُ من نفسي اليكَ نوازعٌ عوارفُ أن اليأسَ منكَ نصيبُها

وأخذ هذا من قول ذي الرمة

اذا هبّتِ الأرواحُ من كلِّ جانبٍ به آل ميّ هاجَ شوقي هبوبُها
هويً تذرفُ العينانِ منه وإنما هوى كلِّ نفسٍ حيثُ كانَ حبيبُها

•• ولابراهيم

دَنت بأناسٍ عن تَنَاءٍ زيارةٌ ... وشطَّ بليلَي عن دنوٍّ مزارها

وإنّ مقيماتٍ بمنقطعِ اللّوى ... لأقربُ من ليلَي وهاتيك دارُها

وأخذ ذلك من قول النظار الفقعسى

يقولونَ هذي أم عمرو قريبةٌ ... دَنَت بكَ أرضٌ نحوها وسماءُ

ألاَ إنّمَا بُعدُ الحبيبِ وقُربُهُ ... إذَا هُو لم يُوصَلْ اليهِ سواءُ

ووجدت بعض أهل الأدب يظن ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى فى قوله

كن كيف شئتَ وأنّي تَشا ... وأبرِقْ يميناً وأرعِدْ شمالاَ

نجابكَ لؤمُكَ منجَى الذُّبابِ ... حمتْهُ مقاذيره أن ينَالاَ

حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى فأحسن غاية الاحسان فقال

أمّا الهجاء فدَقّ عرضُكَ دُونَه ... والمدحُ عنكَ كما علمتَ جليلُ

فاذهب فأنت طليقُ عرضكَ إنّه ... عرضٌ عززتَ به وأنتَ ذليلُ

مجلس آخر ٣٧

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام (قال رب السجن أحب الىّ مما يدعوني اليه وإلاّ تصرف عنى كيدهنّ أصب اليهنّ وأكن من الجاهلين) •• فقال اذا كانت المحبة عندكم هي الارادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بإرادة المعصية لأن حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو فى القبح يجري مجرى ما دعى اليه من الزنا وقوله من بعد (وإلاّ تصرف عنى كيدهن) يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهن وصرفهن عن كيدهن وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه صرف النسوة

عن كيدهن أو لم يصرفن •• الجواب قلنا أما قوله عليه السلام (رب السجن أحب اليّ) ففيه وجهان من التأويل •• أولهما ان المحبة متعلقة فى ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً لأن السجن انما هو الجسم والأجسام لايجوز أن يريدها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الأفعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها فادخال القوم يوسف عليه السلام الحبس أو اكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تناله باستيطانه كان طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالماً لو أكره مؤمناً على ملازمته لبعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكرَه حسناً وان كان فعل المكرِه قبيحاً وهذه الجملة تبين أن لاظاهر في الآية يقتضي ماظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم أن يقدروا مايرجع الى الحابس من الأفعال إلاّ ولنا أن نقدر مايرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام الأمرين ودل الدليل على أن النبي لا يجوز أن يريد المعاصي والقبائح اختص المحذوف المقدر بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مريده ومحبه •• فان قيل كيف يجوز أن يقول السجن أحب اليّ وهو لا يحب مادعوه اليه ومن شأن مثل هذه اللفظة أن تدخل بين ماوقع فيه اشتراك فى معناها وان فضل البعض على البعض •• قلنا قد تستعمل هذه اللفظة فى مثل هذا الموضع وان لم يكن فى معناها اشتراك على الحقيقة ألا ترى ان من خير بين مايحبه وما يكرهه جائز أن يقول هذا أحب اليّ من هذا وان لم يجز مبتدئاً أن يقول من غير أن يخير هذا أحب اليّ من هذا اذا كان لا يحب أحدهما جملة وانما سوّغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر من حيث كان المخير بين الشيئين لا يخير بينهما إلاّ وهما مرادان له ومما يصح أن يريدهما فوضوع التخيير يقتضي ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا متى قال كذا أحب اليّ من كذا مجيباً على مايقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الأمران على الحقيقة يشتركان فى تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنة الخلد) ونحن نعلم أن لا خير فى العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار

المعاصي على الطاعات وانهم ماركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلاّ لاعتقادهم أن فيها خيراً ونفعاً فقيل أذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه أم كذا وكذا وقد قال قوم في قوله تعالى (أذلك خيرٌ أم جنة الخلد) انما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى (خير مستقراً وأحسن مقيلا) ومثله هذا قد يأتي في قوله تعالى (رب السجن أحب الىّ) لأن الأمرين يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكلٍّ منهما داعياً وعليه باعثاً وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه لأن السجن المصدر فيحتمل أن يريد ان سجني لهم نفسي وصبري على حبسهم أحب الىّ من موافقة المعصية ولا يرجع بالسجن الى فعلهم بل الى فعله .. والوجه الثاني أن يكون معنى أحب الىّ أى أهون عندي وأسهل علىّ وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معاً ان فعلت كذا وإلاّ فعل بك كذا وكذا فيقول بل كذا أحب الىّ أى أهون عندي بمعنى أسهل وأخف وان كان لا يريد واحداً منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون انما عنى فعلهم به دون فعله لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وانما وضع أحب موضع أخف والمعصية قد تكون أهون وأخف من اُخرى .. وأما قوله تعالى (وإلاّ تصرف عنى كيدهن أصبُ اليهن) فليس المعنى فيه على ماظنه السائل بل المراد متى لم تلطف لي بما يدعونى الي مجانبة المعصية وتثبتى الى تركها ومفارقتها صبوت وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع الي الله تعالى والتسليم لاموره وأنه لولا معونته ولطفه مانجا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي انما يكون معصوماً عن القبائح بعصمة الله تعالى ولطفه وتوفيقه .. فان قيل الظاهر خلاف ذلك لأنه قال (وإلاّ تصرف عنى كيدهن) فيجب أن يكون المراد مايمنعهن من الكيد ويدفعه والذى ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لايقتضى ارتفاع الكيد والانصراف عنه .. قلنا معنى الكلام وإلاّ تصرف عني ضرر كيدهن والغرض به لانهن إنما أجرين بكيدهن الى مساعدته لهن على المعصية فاذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكأن الكيد قد انصرف

عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به اليه ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئاً ولمن فعل مالا تأثير له ما فعلت شيئاً وهــذا بين بحمد الله ومنّه

[تأويل خبر] •• إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة طويلة خطبها من يتبع المشمعة يشمع به •• الجواب ان المشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل يشمع شموعاً وامرأة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك •• قال أبو ذؤيب يصف الحمير

بِقَرَارِ قِيعَانٍ سَقَاهَا وَابِلٌ ... وَاهٍ فَأَثْجَمَ بُرْهَةً لا يُقْلِـعُ (١)

فَلَبِثْنَ حِيناً يَعْتَلِجْنَ بِرَوْضَةٍ ... فَيَجِدُّ حِيناً فِي العِلَاجِ وَيَشْمَعُ

أراد أن هذا الحمار الذى وصف حاله مع الأتن وانه معهن في بعض القيعان يعارك هذه الأتن ومعنى ــ يعتلجن ــ يعاض بعضهن بعضاً ويتراحمن من النشاط فيجد الفحل معهن مرّة وأُخرى يأخــذ معهن فى اللعب فيشمع وفي جد لغتان يَجد ويَجُدُ والمفتوح لغة هذيل ويقال فلان جاد مجد على اللغتين معاً •• وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يشم ثم يرفع رأسه فيكشر عن أضراسه فجعل ذلك بمنزلة الضحك •• قال الشماخ

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ كَنَنْتُ نَفْسِي ... إِلَى لَبَّاتِ بَهْكَنَةٍ شَمُوعِ (٢)

---

(١) ــ القرار ــ جمع قرارة وهو حيث يستقر الماء ــ والقيعان ــ جمع قاع وهو القطعة من الارض الصلبة الطيبة ــ والوابل ــ المطر العظيم القطر •• ويروى سقاها صيف وهو مطر الصيف ــ والواهي ــ كأنه منشق من شدة انصبابه وكثرة مائه ــ وأثجم ــ أقام وثبت ــ والبرهة ــ الحين والزمان ــ والروضة ــ البقعة يجتمع فيها الماء ينبت فيها البقل والعشب ولا تسمى روضة الا اذا كان بها شجر وماء

(٢) يروى هيكلة مكان بهكنة و هيكلة من النساء العظيمة وتهيكلها اختيالها ــ والشموع ــ المزاحة ــ والبهكنة ــ التارة الغضة وقيل هي الجارية الخفيفة الطيبة الرائحة المليحة الحلوة

•• وقال المتنخل الهذلي

وَلاَ وَاللهِ نادَي الحَيِّ ضَيفِي   هُدُوًّا بِالْمَساءَةِ وَالمِلاَطِ

سأَبدأهُمْ بِشَمْعَةٍ وأثْني   بِجُهْدِي مِنْ طَعَامٍ أو بِسَاطِ

أرادبقوله ـ نادي الحي ضيفي ـ أي لايتادونه من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بما يؤثر ـ والملاط ـ من أعلطه واعتلط به اذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر وأصله من علاط البعير وهو وسم في عنقه •• وقيل ان معنى نادي الحي ضيفي من النادي أي لا يجالسونه بالمكروه والسوء •• ومعنى ـ سأبدأهم بشمعة ـ أي بلعب وضحك لأن ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد الى إيناسه وبسطه •• ومنه قول الآخر

وَرُبَّ ضَيفٍ طَرَقَ الحَيَّ سُرى   صادَفَ زَاداً وَحَدِيثاً ما اشتَهي [1]

إنَّ الحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ القِرَيْ

وروى الأصمعي عن خلف الأحمر قال سنة الاعراب انهم اذا حدثوا الرجل الغريب وهشوا اليه ومازحوه أيقن بالقري واذا أعرضوا عنه عرف الحرمان •• ومعنى ـ أثني بجهد من طعام أو بساط ـ أي اتبع ذلك بهذا •• ومعنى الخبر على هذا أن من كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم أصاره الله تعالى الى حالة يعبث به فيها ويستهزأ منه •• ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من يشمع الناس بعمله يشمع الله به والمعنى من يرائي بأعماله ويظهرها تقرباً الى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم يشهره الله بالرياء ويفضحه ويهتكه •• ويمكن أيضاً في الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء

(١) قوله ورب ضيف الخ •• البيتان للشماخ يمدح بهما عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما وقبلهما

انك يابن جعفر نعم الفتى   ونعم مأوى طارق إذا أتى

ورب ضيف الخ

باسمه ولذلك نظائر فى القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر أن يكون المعنى من يتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه أيضاً ممكن فى الخبر الثاني .. أخبرنا عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال إني لفى سوق ضريّة وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجاً بالبصرة وكان له ابن فضربه إذ أقبلت عجوز على ناقة لها حسنة البزة فيها باقي جمال فأناخت وعقلت ناقتها وأقبلت تتوكأ على محجن لها فجلست قريباً منا وقالت هل من منشد فقلت للكلابي أيحضرك شيء قال لا فأنشدتها شعراً لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري

وقصيرةِ الأيّامِ ودَّ جليسها لوْ باعَ مجلسَها بفقدِ حميمِ
منْ مُحْدِيَاتِ أخي الهوى غُصَصَ الجوَى
بدلالِ غانيةٍ ومُقْلةِ ريمِ
صفْراءُ منْ بقَرِ الجِوَاء كأنما خفَرُ الحياء بها ورَدْعُ سقيمِ

قال فجثت على ركبتها وأقبلت تخرش الأرض بمحجنها وأنشأت تقول

قِفِي يا أُمَيْمُ القلبَ نقرأْ تحيةً ونَشكو الهوى ثمّ افعلي ما بدا لكِ
فلوْ قلْتِ طأْ في النّارِ أعلمُ أنّهُ هوى لكِ أوْ مُدْنٍ لنا منْ وصالِكِ
لقدّمتُ رِجلي نحوَها فوَطِئتُها هُدَى منكِ لي أوْ ضلّةً منْ ضلالكِ
سلي البانةَ العلياءَ بالأجرعِ الذي بهِ البانُ هلْ حيّيتُ أطلالَ داركِ
وهلْ قُمتُ في أطلالهنّ عشيّةً مقامَ أخي البأساءِ واخترْتُ ذلكِ
ليَهْنِكِ إمساكي بكفّي على الحشا ورَقراقُ عيني خشيةً منْ زيالكِ

قال الأصمعي فأظلمت والله على الدنيا بحلاوة منطقها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت أنشدتك الله لما زدتيني من هذا فرأيت الضحك فى عينها وأنشدت

وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يُخْفِينَ زُرْنَنَا ... يُسَحِّبْنَ أَذْيالَ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ

جَمَعْنَ الهَوَى حَتَّى اذَا مامَلَكْنَهُ ... نَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينا مِنَ القَتْلِ

مَرِيضَاتِ رَجْعِ الطَّرْفِ خُرْسٍ عَنِ الخَنَا

تَأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ القُلُوبِ بِلاَ بَذْلِ

مَوَارِقُ مِنْ خَتْلِ المُحِبِّ عَوَاطِفٌ ... بِخَتْلِ ذَوِي الأَلْبَابِ بِالجِدِّ وَالهَزْلِ

يُعَنِّفُنِي العُذَّالُ فِيهِنَّ وَالهَوَى ... يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوِي العَذْلِ

[قال المرتضي] رضى الله عنه أما قول الأنصاري ـ وقصيرة الأيام ـ فأراد بذلك ان السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقصر أيام جليسها لأن أيام السرور موصوفة بالقصر •• ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضاً حداثة سنها وقرب عهد مولدها وان كان الأول أشبه بما أتى في آخر البيت •• ومعنى ـ لو باع مجالسها بفقد نعيم ـ أي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لأنه يستعمل فى البائع والمشتري معاً •• قال الفراء سمعت اعرابياً يقول بع لي تمراً بدرهم أي اشتر لي تمراً •• وقال كثير

فَيَالَيْتَ عَزَّ النَّأْيَ إِذْ حَالَ بَيْنَنَا ... وَبَيْنَكِ بَاعَ الوِدَّ لِي مِنْكِ تَاجِرُ[1]

أى ابتاع ••وقوله ـ من محذيات أخي الهوى ـ أي معطيات يقال أحذيت الرجل من

---

(١) وقبله

بليلى وجارات لليلى كأنها ... نعاج الملا تحدى بهن الاباعر

أمنقطع ياعز ماكان بيننا ... وشاجرنى ياعز فيك الشواجر

إذا قيل هذا بيت عزة قادنى ... اليه الهوى واستعجلتنى البوادر

أصد وبي مثل الجنون لكي يرى ... رواة الخنا أنى لبيتك هاجر

ألا ليت حظي منك ياعز انني ... إذا بنت باع الصبر لى عنك تاجر

وهذه الرواية فى البيت الأخير أشهر من تلك

الغنيمة أحذيه إحذاء اذا اعطيته والاسم الحذوة والحذيا والحذية كل ذلك العطية ‥ وقوله ـ كأنما خفر الحياء بها رداع سقيم ـ فالرداع هو الوجع في الجسد فكأنه أراد انها منقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم أو يريد تغير لونها وصفرته من الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري مجرى قول ليلى الأخيلية

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ القَميصُ تَخَالُهُ　　بَيْنَ البُيُوتِ مِنَ الحَيَاءِ سقيما

حَتَّى اذَا خَفَقَ اللِّوَاءُ رَأَيْته　　تَحْتَ اللِّوَاءِ علي الخَمِيسِ زَعِيما

أخبرنا المرزباني قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني ميمون بن هارون الكاتب قال حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه قال لقيت اعرابياً بالبادية فاسترشدته الى مكان فأرشدني وأنشدني

لَيسَ العَمَى طُولَ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا

تَمَامُ العَمَى طُولُ السُّكُوتِ علي الجَهْلِ (١)

فرجعت الى البصرة فمكثت بها حيناً ثم قدمت البادية فاذا بالاعرابي جالساً بين ظهراني قوم وهو يقضي بينهم فما رأيت قضية أخطأت قضية الصالحين من أقضيته فجلست اليه فقلت يرحمك الله أمَا من رشوة أمَا من هدية أما من صلة فقال لا اذا جاء هذا ذهب التوفيق فشكوت اليه ما ألقى من عذل حليلة لي إياي في طلب المعيشة فقال لست فيها بأوحد وإني لشريكك ولقد قلت في ذلك شعراً قلت أنشدنيه فأنشدني

باتَتْ تُعَيِّرُنِي الإِقْتارَ وَالعَدَما　　لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا المَالَ وَالخَدَما

عَنِّفُ لرَأْيِكِ ما الأَرْزَاقُ من جَلَدٍ　　وَلاَ مِنَ العَجْزِ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسَما

---

(١) وروي

شفاء العمى حسن السؤال وإنما　　يطيل العمى طول السكوت على الجهل

فكن سائلا عما عناك فانما　　خلقت أخا عقل لتسأل بالعقل

وهما للرياشي النحوي

يا أمةَ اللهِ إنّي لم أدعْ طلبًا … لِلرِّزْقِ قد تعلمينَ الشرقَ والشأما

فكلُّ ذلكَ بالإجمالِ في طلبٍ … لم أُرزَ عرضاً ولم أسفكْ لذاكَ دما

لو كانَ من جلدٍ ذا المالُ أو أدبٍ … لكنتُ أكثرَ من نملِ القرى نعما

إرضَيْ من العيشِ مالم تحوجي معهُ … أن تفتحي لسؤالِ الأغنياء فما

واستشعري الصبرَ عل الله خالقنا … يوماً سيكشفُ عنّا الضرّ والعدما

لا تحوجيني الي مالو بذلتُ لهُ … نفسي لا عقبكِ التهمامَ والندما

باللهِ سرّكِ أنّ اللهَ خوّلني … ما كانَ خوّلهُ الاعرابَ والعجما

ما سرّني أنني خوّلتُ ذاكَ ولا … أن لا أقولَ لباغي حاجةٍ نعما

وأنني لم أفدْ عقلاً ولا أدباً … ولا أرثْ والدي مجداً ولا كرما

فمسرّةُ المرءِ أحرى في معاشكِ من … أمرٍ يجرُّ عليكِ الهمّ والألما

قال فوالله ما أنشدنيها حتى حلفت أن لا تعذلنى أبداً .. أخبرنا علىّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال رأيت بقباء شاباً من بني عامر ما رأيت بدوياً أفصح منه ولا أظرف فوالله كأنه شواظ يتلظي فاستنشدته فأنشدني

فلم أنسكم يومَ اللوى إذ تعرّضتْ … لنا أمُّ طفلٍ خاذلٍ قد تجلّتِ

فقالتْ سأنسيكَ المشيّةَ ما مضى … وأصرفُ منكَ النفسَ عمّا أحبّتِ

فما فعلتْ لا والذي أنا عبدُهُ … على ما بدا من حسنها إذ أدلّتِ

أبتْ سابقاتُ الحبِّ إلاّ مقرّها … إليكِ وما يثنى إذا ما استقرّتِ

هواكِ الذي في النفسِ أمسى دخيلها … عليهِ انطوتْ أحشاؤها واستمرّتِ

وأنشدني أيضاً

دِيارٌ لِلَّتي طَرَقَتْكَ وَهْنًا ... بَرِيًّا رَوْضَةٍ وَذَكَاءِ رَنْدِ

تُسائِلُني وَأَصْحابي هُجُودٌ ... وَتَثْني عِطْفَها مِنْ غَيْرِ صَدِّ

فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُ الحُبَّ قالَتْ ... فَإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كانَ وَجْدِي

وَلَكِنْ حالَ دُونَكَ ذُو شَذاةٍ ... أُسَرُّ بِفَقْدِهِ وَيُسَرُّ فَقْدِي

معق— يورـ يكره •• وبهذا الاسناد قال الأصمعي قعدت الي اعرابي يقال له اسمعيل ابن عمار واذا هو يفتل أصابعه ويتلهف فقلت له علام تتلهف فأنشأ يقول

عَيْنايَ مَشْؤُمَتانِ وَيْحَهُما ... وَالقَلْبُ حَرّانُ مُبْتَلًى بِهِما

عَرَّفَتانِي الهَوى بِظُلْمِهِما ... يالَيْتَني قَبْلَهُ عَدِمْتُهُما

هُما إِلى الحَيْنِ قادَتا وَهُما ... دَلَّ عَلى ما أُجِنُّ دَمْعُهُما

سأَعْذُرُ القَلْبَ في هَواهُ فَما ... سَبَّبَ هَذا البَلاءَ غَيْرُهُما

وبهذا الاسناد عن الأصمعي قال نزلت ليلة في وادي بني العنبر وهو إذ ذاك غان بأهله أي آهل فاذا فتية يريدون البصرة فأحببت صحبتهم فأقمت ليلتي تلك عليهم وإني لوصب محموم أخاف أن لا أستمسك على راحلتي فلما أقاموا ليرحلوا أيقظوني فلما رأوا حالي رحلوا لي وحملوني وركب أحدهم ورائي يمسكني فلما أمعنوا السير تنادوا الا فتى يحدو بنا أو ينشدنا فاذا منشد في سواد الليل بصوت ند حزين ينشد

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بانُوا فَلَمْ أَمُتْ ... خُفاتًا عَلى آثارِهِمْ لَصَبُورُ

غَداةَ المُنَقَّى اذْ رُمِيتُ بِنَظْرَةٍ ... وَنَحْنُ عَلى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ

فَقُلْتُ لِقَلْبي حِينَ خَفَّ بِهِ الهَوى ... وَكادَ مِنَ الوَجْدِ المُبَرِّ يَطِيرُ

فَهَذا وَلَمَّا تَمْضِ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ ... فَكَيْفَ إِذا مَرَّتْ عَلَيْكَ شُهُورُ

وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الأَحِبَّةِ دُونَهَا   مِنَ الأَرْضِ غَوْلٌ نَازِحٌ وَمَسِيرُ

وَأَصْبَحْتُ نَجْدِيَّ الهَوَى مُتْهِمَ النَّوَى

أَزِيدُ اشْتِيَاقاً أَنْ يَحِنَّ بَعِيرُ

عَسَى اللهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسْعِفَ النَّوَى

وَيُجْمَعُ شَمْلٌ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال فسكنت والله عني الحمى حتى ما أحس بها فقلت لرفيقي انزل يرحمك الله الى راحلتك فاني متماسك وجزاك الله عن الصحبة خيراً .. أخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي قال كان بالبصرة اعرابي من بني تميم يتطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله مابنيت المنازل إلا لتدخل ولا وضع الطعام إلا ليؤكل وما قدمت هدية فأتوقع رسولا وما أكره أن أكون ثقلا ثقيلا على من أراه شحيحاً بخيلا أتقحم عليه مستأنساً وأضحك اذا رأيته عابساً فآكل برغمه وأدعه بهمه وما اخترق اللهوات طعام أطيب من طعام لم ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم [1] وأنشأ يقول

كُلَّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرْصَةِ الحَـ   ـيِّ أَشُمُّ القُتَارَ شَمَّ الذُّبَابِ

---

(١) وروى من غير هذا الوجه عن المبرد قال كان بالبصرة طفيلي مشهور وكان ذا أدب وظرف فمر بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعى فانكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو صبرت ياهذا قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لادبك وأعظم لقدرك وأجل لمروءتك فقال إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضعت الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة واطراحها صلة وجاء في الآثار صل من قطعك واعط من منعك وأحسن الي من أساء اليك

فاذَا مارَأَيتُ آثارَ عُرْسٍ أَوْ خِتَانٍ أَوْ مَجْمَعَ الأَصْحَابِ
لاَ أُوَرّعُ دُونَ التَّقَحُّمِ لاَأَرْ هَبُ دَفْعًا وَلَـكَزَةَ البَوَّابِ
مُسْتَهِينًا مِمَّا هَجَمْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلاَ هَيَّابِ
فَتَرَانِي أَلُفُّ مَاقَدَّمَ القَوْ مُ عَلَى رَغْمِهِمْ كَلَفِّ العُقَابِ
ذَاكَ أَدْنَى مِنَ التَّكَلُّفِ وَالغُرْ مِ وَغَيْظِ البَقَّالِ وَالقَصَّابِ

مجلس آخر ٣٨

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ونادى نوحٌ ربَّه فقال ربِّ إن ابني من أهلي) الى قوله (أن تكون من الجاهلين) .. فقال ظاهر قوله تعالى (إنه ليس من أهلك) يقتضى تكذيب قوله عليه السلام انه من أهلى فالنبي لايجوز عليه الكذب فما الوجه فى ذلك وكيف يصح أن يخبر عن ابنه انه عمل غير صالح وما المراد به .. الجواب قلنا في هذه الآية وجوه .. أحدها أن نفيه لان يكون من أهلهم يتناول نفى النسب وانما نفى أن يكون من أهله الذين وعد بنجاتهم لانه عزوجل كان وعد نوحاً عليه السلام بان ينجى أهله ألا ترى الى قوله تعالى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول) فاستثنى تعالى من أهله من أراد اهلاكه بالغرق ويدل عليه أيضاً قول نوح عليه السلام (ان ابني من أهلى وان وعدك الحق) وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتنافيان وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين .. والجواب الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (ليس من أهلك) اى انه ليس على دينك وأراد انه كان كافراً مخالفاً لأبيه وكأنّ كفره أخرجه من أن يكون له أحكام أهله ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى على طريق التعليل انه عمل

غير صالح فبيّن تعالى انه انما خرج من أحكام أهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا التأويل أيضاً عن جماعة من المفسرين وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فسبح طويلا ثم قال لا اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه ويقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن •• وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفاً له في النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من أهلك •• والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام ان ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى ان الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه انما خبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي فأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره •• وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه فقلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوحٌ ابنه وتقول ليس بابنه قال أفرأيت قوله ليس من أهلك قال قلت معناه انه ليس من أهلك الذين وعدتك ان أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب انه ابنه فقال أهل الكتاب يكذبون •• وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك •• وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن لانه قال تعالى (ونادى نوح ابنه) فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضاً استثناه من جملة أهله بقوله تعالى (وأهلك إلاّ من سبق عليه القول) ولان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جنب الله تعالى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيراً ونفياً لكل ماينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احداهما تخبر الناس بانه مجنون والأخرى تدل على الأضياف والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان •• فأما قوله تعالى (انه عملٌ غير صالح) فالقراءة المشهورة بالرفع •• وقد روى عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه •• فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وما يستعمل غير صالح فحذف

المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

مَا أُمُّ سَقْبٍ علي بَوٍّ تُطيفُ بهِ ... قد ساعدَتها على التَّحنَانِ أظآرُ

تَرْتَعُ مارَتعتْ حتَّى إذا ذَكَرَتْ ... فإنما هيَ إقبالٌ وَإدبارُ

أرادت انما هي ذات اقبال وادبار .. وقال قوم ان المعنى أهلي ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة والذى اخترناه خلاف ذلك .. وقال آخرون الهاء في قوله تعالى (انه عمل غير صالح) راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك إياى ماليس لك به علم انه عملٌ غير صالح لانه قد وقع من نوح ذلك السؤال والرغبة في قوله عليه الصلاة والسلام (رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق) ومعنى ذلك نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي لأن الصغيرة جائزة عليهم ومن يمنع أن يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم .. فاذا قيل له لم قال تعالي (لا تسألني ماليس لك به علم) فكيف قال نوح عليه الصلاة والسلام من بعد (رب إني أعوذ بك أن أسألك ماليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) .. قال لا يمتنع أن يكون نهيه عن سؤال ماليس له به علم وان لم يقع منه لم يكن يعوذ عليه الصلاة والسلام من ذلك وان لم يواقعه ألا ترى ان الله تعالى قد نهى نبيه عليه الصلاة والسلام عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك وقع منه فقال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) وكذلك لايمتنع أن يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع ويكون عليه الصلاة والسلام انما سأل نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء .. فأما القراءة بالنصب فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب أن يقال انه عمل عملا غير صالح لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى تقول عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لأن من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صواباً وقلت حسناً بمعنى فعلت فعلا صواباً وقلت قولا حسناً .. وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

أَيُّها القائِلُ غَيْرَ الصوابِ أَخِّرِ النصحَ وَاقْلِلَنْ عِتابي

وقال أيضاً

وكَمْ مِنْ قَتيلٍ مايُباءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقٍ رَهْناً إِذَا ضَمَّهُ مِنًى

وَمِنْ مالِئٍ عَيْنَيْهِ مِنْ شَيْءِ غَيْرِهِ

إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبِيضُ كَالدُّمَى[1]

وأنشدنا أبو عبد الله لرجل من بجيلة

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ العَقْلِ مُنْتَكِثِ القُوَى

ماإنْ لهُ نَقْضٌ وَلاَ إبرامُ

مالَتْ لَهُ الدُّنيا عليهِ بِأَسْرِها فَعلَيهِ مِنْ رِزْقِ الإِلٰهِ زُكامُ

وَمُشَيَّعٍ جَلْدٍ أَمِينٍ حازِمٍ مَرِسٍ لَهُ فِيمَا يَرُومُ مَرَامُ

أَعْمَى عَلَيْهِ سَبِيلَهُ فَكَأَنَّهُ فِيمَا يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن

---

(١) وقبل البيتين

فلم أر كالتجمير منظر ناظر ولا كليالي الحج أفتنّ ذا هوى

وبعدهما

يسحبن اذيال المروط بأسؤق خدال وأعجاز مآ كها روي

وسبب هذه الابيات ان أم عمرو بنت مروان حجت فلما قضت نسكها أتت عمر ابن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساء لخادته ثم انصرفت وعادت اليه منصرفها من عرفات وقد أنبها فقالت له لا تذكرني في شعرك وبعثت اليه بألف دينار فقبلها واشترى بها ثيابا من ثياب اليمن وطيباً فأهداه اليها فردته فقال إذاً والله انهبه الناس فيكون مشهوراً فقبلته

هرون قال حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر يميل الى الأصمعي ويفضله ويقوم بأمره قال فجئته يوماً بعد موت محمد وعنده عبد كان لمحمد أسود وقد ترك الناس وأقبل عليه وسائله وتحفى به وحادثه فلما خرج لمته على ذلك وقلت من هذا حتى أفنيت عمر يومك به فقال هذا غلام ابن منصور ثم أنشدني

وَقَالُوا ياجَمِيلُ أَتَى أَخُوها   فَقُلْتُ أَتَى الْحَبِيبَ أَخُو الْحَبِيبِ

أُحِبُّكَ والقَرِيبُ بِنَا بَعِيدٌ   لإِنْ ناسَبْتَ بَثْنَةَ مِنْ قَرِيبِ

فقلت له وكنت أفعل هذا كثيراً به لاستجر كلامه وعلمه ياأبا سعيد ذلك أخوها وهذا غلامه فضحك وقال أنشد أبو عمرو أوقال غيره

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ أَوْطَنَتْها وَإِنْ خَلَتْ   لَها حِجَجٌ تَنْدى بِمِسْكٍ تُرابُها

حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبِعًا لَها   ذِئابَ الْغَضَى حَنَّتْ إِلَيَّ ذِئابُها

قال فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه واجادة حفظه لمتى أراده ٠٠ وبهذا الاسناد عن اسحق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُها   بِرَوْضِ الشَّرَى عَيْناكَ تَبْتَدِرانِ

فقال لي أتعرف في هذا البيت خبئاً باطناً غير ظاهر قلت لافسكت عني فقلت ان كان فيه شيء فافدينه قال نعم أما يدلك البيت على انه لفظ ملك متهين ذي قدرة على مايريد قال اسحق وما رأيت قط مثل الأصمعي في العلم بالشعر ٠٠ وروى عن اسحق أيضاً انه قال قال لي الأصمعي ما يعني امرؤ القيس بقوله

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ

فَأَلْهَيْتُها عَنْ ذِي تَمائِمَ مُحْوِلِ

فقلت تخبرني فقال كان مفركا فيقول ألهيت هؤلاء عن كراهتهن للرجال فكيف انا عند الحبات لهم ٠٠ وروى ان السبب الذي هاج التنافر بين الأصمعي وابن الاعرابي ان

الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سلم وابن الاعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم أنشد أبا سعيد فأنشد الغلام أبياتاً لرجل من بني كلاب روّاه إياها ابن الاعرابي

رَأَتْ نِضْوَ أَسفَارٍ أُمَيْمَةُ شَاحِباً   على نِضْوِ أَسفَارٍ فَجُنَّ جُنُونُهَا
فَقَالَتْ مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنْ
فَإِنَّكَ رَاعِي صِرْمَةٍ لَا يَزِينُهَا
فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الفَتَى   بِعَارٍ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا
عَلَيْكِ بِرَاعِي ثَلَّةٍ مُسْلَحِبَّةٍ   يَرُوحُ عَلَيْهِ مَخْضُهَا وَحَقِينُهَا
سَمِينُ الضَّوَاحِي لَمْ تُؤَرِّقْهُ لَيْلَةً   وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الهُمُومِ وَعُونُهَا

ورفع ليلة فقال له الأصمعي من روّاك هذا فقال مؤدّبي فأحضره فاستنشده فأنشده ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال انما أراد انه لم تؤرقه ليلة أبكار الهموم وعونها وأنعم أي زاد على هذه الصفة .. وقوله — سمين الضواحي — أي ما ظهر منه وبدا سمين ثم قال الأصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس بموضع لتأديب ولد الملوك .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا الأصمعي قال ولد بشار بن برد أكمه لم ينظر الى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقلت له يوماً من أين لك هذا الذكاء قال من قدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير من الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وصحة الذكاء وأنشد لنفسه يفخر بالعمى

عَمِيتُ جَنِيناً وَالذَّكَاءُ مِنَ العَمَى   فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْئِلَا
وَغَاضَ ضِيَاءُ العَيْنِ لِلْعَقْلِ رَافِداً   بِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَّلَا
وَشِعْرٍ كَنَوْرِ الرَّوْضِ لَا أَمْتُ بَيْنَهُ
بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشِّعْرُ أَسْهَلَا

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا

الأصمعي قال أنشد رجل وأنا حاضرٌ بشاراً قول الشاعر

وقد جعل الاعداء ينتقصوننا … وتطمع فينا ألسنٌ وعيون

ألا إنما ليلي عصي خيزرانةٍ … إذا غمزوها بالأكفّ تلينُ

فقال بشار والله لو جعلها عصى مخ أو زبد لما كان إلاّ مخطئاً مع ذكر العصى ألا قال كما قلت

وحوراء المدامع من معدّ … كأنّ حديثها قطعُ الجُمانِ

إذا قامت لسبحتها تثنّت … كأنّ قوامها من خيزُرانِ

يُنسيكَ المنى نظرٌ إليها … ويَصرف وجهها وجهَ الزّمانِ

••وأخبرنا المرزباني قال حدثنا عليّ بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن شبة قال قال لي أبو عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران فقال فيه قصيدة طويلة أوّلها

نأتك على طولِ التّجاوُر زينبُ … وما علمت أنّ النّوى سوف يشعبُ

وكان سليمان بخيلا فاعطاه خمسة آلاف درهم ولم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال

إنْ امسِ منقبضَ اليدين عن الندى

وعن العدوّ مخيّسُ الشيطانِ

فلقد أروحُ على اللئام مسلّطاً … ثلجَ المقام منعمَ النّدمانِ

في ظلّ عيشٍ عشيرةٍ محمودةٍ … تندى يدي ويُخافُ فرطُ لساني

أزمانَ سربالُ الشّباب مذيّلٌ … وإذِ الأميرُ عليّ من حرّانِ

ريمٌ بأحوية العراق إذا بدا … برقت عليه أكلّةُ المرجانِ

فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى … وبوشك رؤيتها من الهملانِ

فَقُرْبُ من تَهْوَى وَأَنتَ مُتَيَّمٌ اشفى لِدائِكَ من بني مَرْوَانِ

فلما رجع الى العراق برّهُ ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدحه قيساً وافتخاره بها فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحي النحوى قال قال الأصمعى ماوصف أحدٌ الثغر إلاّ احتاج الى قول بشر بن أبي خازم

يُفَلِّجْنَ الشِّفَاهَ عنْ أُقحوانٍ جلاهُ غِبَّ ساريةٍ قِطَارُ

ولا وصف أحدٌ اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة

وَهِيَ مكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ منها في أَدِيمِ الخَدَّيْنِ ماءُ الشَّبابِ

شفَّ عنها مُحَقَّقٌ جِنْدَبِيٌّ فَهِيَ كالشَّمسِ من خِلاَلِ السَّحَابِ

ولا وصف أحدٌ عيني امرأة إلاّ احتاج الى قول ابن الرقاع

لولاَ الحياءُ وَأنَّ رَأسي قد بدَا فيهِ المَشيبُ لزُرتُ أُمَّ القاسِمِ

فكأَنَّها وَسطَ النِّساءِ اعارَها عَينَيهِ أحوَرُ من جآذِرِ جاسِمِ

وَسْنَانُ اقصدَهُ النُّعاسُ فرَنَّقَتْ في عَينِهِ سِنَةٌ وَليسَ بنائمِ

ولا وصف أحدٌ نجيباً إلاّ احتاج الى قول حميد بن ثور

مُحَلًّى باطْوَاقٍ عِتَاقٍ يُبِنَّهَا على الضُّرِّ رَاعِي الضَّأنِ لو يَتَقَوَّفُ

ولا وصف أحدٌ ظليماً إلاّ احتاج الى قول علقمة بن عبدة

هَيْقٌ كأنَّ جَناحَيهِ وَجُؤجُؤَهُ بيتٌ أطافتْ بهِ خَرقاءُ مَهجُومُ

ولا اعتذر أحد إلاّ احتاج الى قول النابغة

فانَّكَ كاللَّيلِ الَّذِي هوَ مُدرِكي وَإنْ خِلْتُ أنَّ المُنتأَى عنكَ وَاسِعُ

[قال الشريف المرتضى] رضي الله عنه ..أما قول حميد محلىً بأطواق عتاق فانه يريد أن عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلالتهما وسماتهما حلية من حيث كان موسوماً

بهما •• ومعنى ــ يبينها على الضراء ــ يتبينها ويعرفها هــذا الراعي فيعلم انه كريم ــ والتقوف ــ من القيافة •• فأما قول علقمة حيق ــ فالحيق ــ ذكر النعام •• ومعنى ــ أطافت به خرقاء ــ أي عملته وابتنته وقيل ان خرقاء ههنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على سبيل الاضداد في الحاذقة وغير الحاذقة •• ومعنى ــ مهجوم ــ أي مهدوم •• وقال الأصمعي معنى أطافت به عملته فخرقت في عمله يقول قد أرسل جناحيه كأنه خباء امرأة خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت ناحية أخرى والوجه الثاني أشبه وأملح •• فأما قول بشر بن أبي خازم في وصف الثغر فاحسن منه وأكشف وأشد استيفاء للمعنى قول النابغة

كالأُقحوانِ غداةَ غبِّ سمائهِ جفَّتْ أعاليهِ وأسفلُهُ ندِ

فانما وصف أعاليه بالجفوف ليكون متفرقاً متنضداً غير متلبد ولا مجتمع فيشبه حينئذ الثغور •• ثم قال وأسفله ندِ حتى لا يكون خلا يابساً بل يكون فيه الغضاضة والصقالة فيشبه غروب الاسنان التي تلمع وتبرق •• وروى الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة

وتجلو بفرعٍ من أراكٍ كأنَّهُ من العنبرِ الهنديّ والمسكِ ينضحُ

ذُرَى أُقحوانٍ واجهَ الليلَ وارتقى اليهِ الندَى من رامةَ المتروّحُ

هجانُ الثنايا مُغرِباً لو تبسمتْ لأخرسَ عنهُ كادَ بالقولِ يفصحُ

﴿ مجلس آخر ٣٩ ﴾

[تأويل آية] •• إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) •• فقال كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة وأما تأويل قوله تعالى (وهم كافرون) فظاهره يقتضي انه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم في

حال كفرهم لأن القائل اذا قال أريد أن يلقاني فلان وهو لابس أو على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة ٠٠ الجواب قلنا أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه ٠٠ أولها ماروى عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا يعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون) ٠٠ وأنشد فى ذلك قول الشاعر

عشيَّةَ أبدَتْ جيد أدماء مُغْزِلٍ وطرْفاً يُرِيكَ الإثمِدَ الجَوْنَ أحورا

يريد وطرفاً أحور يريك الإثمد الجون وقد اعتمد على هذا الوجه أيضاً أبو علىّ قطرب وذكره أبو القاسم البلخى والزجاج ٠٠وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبى أولادهم واسترقاقهم وفى ذلك لا محالة إيلامٌ لهم واستخفاف بهم وانما أراد الله تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه وآله والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها فى أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية الى ذلك وانهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب أن يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذ كانت هذه عاجلتهم والعقاب الأليم في النار آجلتهم وهذا جواب أبى علىّ الجبائى وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال كيف يصح هذا التأويل مع انا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدى المسلمين ولا يقدرون على غنيمة أموالهم ونجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشئ لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن أوجب الله تعالى محاربته فأما الذين هم بحيث لاتنالهم الأيدى أو هم من القوة على حد لايتم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم فى هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يسبى ويغنم ويجاهد ويغلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد ٠٠ وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم

بذلك كلما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع انه حيّ من العذاب الدائم الذي قد أعد له واعلامه انه صائر اليه اومنتقل الى قراره وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره أبو عليّ الجبائي أيضاً .. ورابعها جواب يحكى عن الحسن واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره وهم اذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً .. [قال الشريف المرتضي] رحمه الله وهذا وجه غير صحيح لأن الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال أن يكون انما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة واللطف في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ماقلناه في الجواب الذي قبل هذا من ان المصائب والغموم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنها للعقوبة والمحنة جميعاً ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلاّ وجهٌ واحد وهو المصلحة في الدّين فاقترن الأمران وليس لهم أن يقولوا ليس التعذيب في ايجاب الفرائض عليهم وانما هو في اخراجهم لأموالهم على سبيل التكره والاستثقال وذلك انه اذا كان الأمر على ما ذكروه وخرج الأمر من أن يكون مراداً لله تعالى لانه جل وعز ما أراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة فاذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف يقول انما يريد الله ليعذبهم بها ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى .. [قال الشريف] رحمه الله وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الآية إلا جواب التقديم والتأخير مبنية على ان الحياة الدنيا ظرف للعذاب فيحمل كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ويطابق ذلك وما يحتاج عندنا الى جميع ما تكلفوه ولا الى التقديم والتأخير اذا لم يجعل الحياة ظرفاً للعذاب بل جعلناها ظرفاً للفعل

الواقع بالأموال والأولاد المتعلق بهما لإنا قد علمنا أولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد نفسها لا تكون غذاباً والمراد على سائر وجوه التأويل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها والمصيبة بها والغم عليها أو اباحة غنيمتها واخراجها عن أيدى مالكيها فكان تقدير الآية انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ويتصل بها فاذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا لأفعالهم القبيحة فى أموالهم وأولادهم التى تغضب الله تعالى وتسخطه كانفاقهم الأموال فى وجوه المعاصى وحملهم الأولاد على الكفر وإلزامهم الموافقة لهم فى النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا وهذا وجه ظاهر يغنى عن التقديم والتأخير وسائر ماذكروه من الوجوه •• فأما قوله تعالى (وتزهق أنفسهم) فمعناه تبطل وتخرج أى انهم يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال نفسها على ما ظنوه لأن الواحد منا قد يأمر غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغى وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريداً لحرب أهل البغى للمؤمنين وان أراد قتالهم على هذه الحالة وكذلك قد يقول لغلامه أريد أن تواظب على المصير الىّ فى السجن وأنا محبوس وللطبيب صر الىّ ولازمنى وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين •• وقد ذكر في ذلك وجه آخر على أن لا يكون قوله (وهم كافرون) حالا لزهوق أنفسهم بل يكون ذلك كأنه كلام مستأنف والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى تزهق أنفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلاناً حتى مات وتلفت نفسه وأخرجت روحه وما أشبه ذلك

[قال الشريف] رضى الله عنه ذاكرنى قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيى بن أبي حفصة فأفرط بعضهم فى وصفه وتقريظه

وتفضيله وآخرون في ذمّه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان متساوى الكلام متشابه الألفاظ غير متصرف فى المعانى ولا غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت النظائر فى شعره ومدائحه مكررة الألفاظ والمعانى وهو غزير الشعر قليل المعنى الا انه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وأشعر شعراء أهله ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد فى تنقيح الألفاظ وتدقيق المعانى وحسن الألفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد فى الأبيات النادرة السائرة فكأنه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما شديداً ولا منحط عنهما بعيداً وكان اسحق بن ابراهيم الموصلى يقدمه على بشار ومسلم وكذلك أبو عمرو الشيبانى وكان الأصمعي يقول مروان مولّد وليس له علم باللغة واختلاف الناس فى اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبيه على معانيه وبحسب مايستنبطونه من مذاهبه وطرائقه فسئلت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع الىّ من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر شعره وان أملى ذلك في خلال المجالس وأثنائها ٠٠ فما يختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدى أوّلها

أَعادكَ مِنْ ذِكْرِ الأَحِبَّةِ عائدُ ... أَجَلْ واستَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ البَوائدُ

يقول فيها

تَذَكَّرْتَ مَنْ تَهْوَى فأَبْكاكَ ذِكْرُهُ ... فَلا الذِّكْرُ مَنْسِيٌّ وَلاَ الدَّمْعُ جامِدُ

تَحِنُّ وَيَأْبَى أَنْ يُساعِدَكَ الهَوَى ... وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَوًى لا يُساعِدُ

أَلاَ طَالَما أَنْهَبْتَ دَمْعَكَ طائِعاً ... وَجارَتْ عليكَ الآنِساتُ النَّواهِدُ

تُذَكِّرُنا أَبْصارَها مُقَلُ المَها ... وأَعناقَها أُدْمُ الظِّباءِ العَواقِدُ

تَساقَطُ مِنْهُنَّ الأَحاديثُ غَضَّةً ... تَساقُطَ دُرٍّ أَسْلَمَتْهُ المَعاقِدُ

إليكَ أميرَ المؤمنينَ تجاذَبَتْ — بنا اللَّيلَ خُوصٌ كالقسيِّ شَوَارِدُ
يَمانيةٌ يَنأى القَريبُ مَحَلُّهُ — بهِنَّ ويَدنُو الشَّاخِطُ المُتَبَاعِدُ
تَجَلَّى السُّرَى عنها وللعِيسِ أعيُنٌ — سَوَامٍ وأعناقٌ إليكَ قَوَاصِدُ
إلى مَلِكٍ يَندَى إذا يَبِسَ الثَّرَى — بنائِلِ كفَّيهِ الأكُفُّ الجَوَامِدُ
لهُ فوقَ مَجدِ النَّاسِ مَجدانِ منهما — طَريفٌ وعاديٌّ الجَرَاثيمِ تالِدُ
وأحواضُ عِزٍّ حَومَةُ المَوتِ دُونَها — وأحواضُ عُرْفٍ ليسَ عَنهُنَّ ذائِدُ
أيادي بَني العبَّاسِ بِيضٌ سَوَابِغٌ — على كُلِّ قَومٍ بادياتٌ عَوائِدُ
وهُمْ يَعدِلُونَ السَّمكَ من قُبَّةِ الهُدَى — كما تَعدِلُ البَيتَ الحَرَامَ القَوَاعِدُ
سَواعِدُ عِزِّ المُسلمينَ وإنَّما — تَنُوءُ بصَولاتِ الأكُفِّ السَّوَاعِدُ
يَكُونُ غِرارًا نَومُهُ مِن حِذارِهِ — على قُبَّةِ الإسلامِ والخَلقُ رَاقِدُ
كأنَّ أميرَ المؤمنينَ مُحَمَّدًا — لرأفتِهِ بالنَّاسِ للنَّاسِ وَالِدُ

[قال الشريف] رضي الله عنه .. أما قوله

تساقط منهنَّ الأحاديث غضة — تساقط دُرٍّ أسلمته المعاقد

فيكثر في الشعر وأظن ان الأصل فيه أبو حيَّة النميري في قوله

إذا هُنَّ ساقطنَ الأحاديثَ للفتى — سقوطَ حصى المرجانِ من سلكِ ناظمِ [1]

---

(١) وهو من أبيات أولها

وخبركِ الواشون أن لن أحبكم — بلى وستورِ الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذى تعلمينه — عزاء بكم إلاّ ابتلاع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة — بنا وبكم اف لأهل النمائم
فان دما لو تعلمين جنيته — على الحي جاني مثله غير سالم
أما إنه لو كان غيرك أرقلت — إليه القنى بالراعفات اللهاذم

وانما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا يتأول قوله تعالى (يُخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)

•• ومثله قول الآخر

هِيَ الدُّرُّ مَنْثُورًا إِذَا ماتكلّمتْ وَكالدُّرِّ مَجْمُوعا إِذَا لمْ تَـكلّمِ

•• ومثله

مِنْ ثغرها الدُّرُّ النظا مُ وَلفظُها الدُّرُّ النثيرْ

ونظيره قول البحترى وأحسن غاية الاحسان

وَلمَّا التقينا وَالنَّقا موعد لنا تَعجَّبَ رائي الدُّرِّ حُسْناً وَلاَ قطهْ

فمِنْ لُؤْلُؤٍ تجلوهُ عِندَ ابتِسامِها وَمن لؤلؤٍ عِندَالحَديثِ تُساقطهْ

ومثله قول الأخطل

خَلَوْتُ بها وَسجفُ الليلِ مُلقي وَقدْ اصغَتْ إلى الغرْبِ النُّجُومُ

كأَنَّ كلامَها دُرٌّ نثيرٌ وَرَونقُ ثغرِها دُرٌّ نظيمُ

ولغيره

تَبسّمتْ فرأيتُ الدُّرَّ منتظِما وَحدَّثتْ فرأيتُ الدُّرَّ مُنتثِرا

ولآخر

وَتحفظُ لاَمنْ رِيبةٍ يحذَرُونها وَلـكنَّها منْ أعيُنِ النّاسِ تحفظُ

وَتلفظُ دُرًّا في الحَديثِ إِذا جرَى وَلمْ نرَ دُرًّا قبلَ ذَلكَ يلفظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

أظهرْنَ وَصلاً إِذْ رحمنَ متيّماً وَارَيْنَ هجرًا اذ خشينَ مُراقبا

ولـكنه والله ماطل مسلماً كغر الثنايا واضحات الملاغم

اذا هن ساقطن الأحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من سلك ناظم

رمين فأقصدن القلوب ولا ترى دما مائرا الأجوىً في الحيازم

فَتَظَمنَ مِنْ دُرّ المَبَاسِمِ جامِدًا   وَتَنْثُرْنَ مِنْ دُرّ المَدَامِعِ ذَائبا

[قال الشريف] رضى الله عنه وليس قول أبي هذيل في صفة الحديث

كَتَساقُطِ الرُّطَبِ الجَنِـ   ـيِّ مِنَ الأَقْنَاءِ لاَ نَثْرًا وَلاَ نَزْرَا

من هذا الباب فى شئ لأن جميع ماتقدم هو في وصف الثغر وهـذا فى وصف حسن الحديث وانه متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد كانتثار الرطب من الاقناء ويشبه أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم انه غض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجني فيجتمع له أغراض الوصف له بالفصاحة والاقتصاد فى القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الغضاضة •• ونظير قول أبي الهذيل قول ذى الرمة

لها بَشَرٌ مِثْلُ الحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ   رَخِيمُ الحَوَاشِي لاَ هُرَاءٌ ولاَ نَزْرُ (١)

فأما قول مروان

إلى مَلِكٍ تَنْدَى اذَا يَبِسَ الثَّرَى   بنائِلِ كَفَّيْهِ الأَكُفُّ الجَوَامِدُ

فمثل قول أبى حنش النميري فى يحيي بن خالد البرمكي

لاَ تَرَانِي مُصافِحًا كَفَّ يَحْيَى   إنَّنِي إنْ فَعَلْتُ اتْلَفْتُ مالِي

---

(١) وبعده

وعينان قال الله كونا فكانتا   فعولان بالألباب ماتفعل الخمر

ـ رخيم الحواشي ـ لينها ـ والهراء ـ كغراب المنطق الكثير أو الفاسد الذي لا نظام له •• وروى ان الفرزدق حضر مجلس عبد الله بن أبى اسحاق فقال له كيف تنشد هذا البيت وعينان قال الله كونا الخ فأنشده فعولان فقال له عبد الله ماكان عليك لو قلت فعولين فقال له الفرزدق لو شئت ان أسبح لسبحت ونهض فلم يعرفوا مراده فقال عبد الله لو قال فعولين لأخبر ان الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد انهما تفعلان ماتفعل الخمر اه وكان هنا تامة لاخبر لها

لوْ يَمسُّ البَخيلُ رَاحةَ يَحْيَي ... لسَخَتْ نَفسُهُ ببَذلِ النَّوالِ

ومثله قول ابن الخياط المدني في المهدي

لَمَسْتُ بكَفِّي كَفَّهُ أبْتَغِي الغنى ... وَلمْ أدرِ أنَّ الجُودَ منْ كَفِّهِ يُعدِي

فلا أنا منهُ ما أفادَ ذَوُو الغِنَى ... أفَدْتُ وأعدَاني فأتلفتُ ما عِندِي

وقد قيل ان هذا الشاعر كأنه مصرح بالهجاء لأنه زعم ان الذي لمس كفه لم يفده شيئاً بل أعــداه جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر إلا المدح ولقوله وجه وهو ان ذوى الغنى هم الذين تستقر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ومن أخرج ما يملكه حالا بحال لا يوصف بانه ذو غنى فأراد الشاعر اني لم أفد منه ما بقي في يدي واستقر تحت ملكي فلهذا قال لم يفد ما أفاد ذوو الغنى •• ومن هذا المعنى قول مسلم

إلى ملِكٍ لوْ صافحَ النَّاسَ كُلَّهمْ ... لمَا كانَ حيٌّ في البَريَّةِ يبْخَلُ

ومثله قول أبي العكوك

لوْ لمَسَ الناسُ راحتَيهِ ... ما بَخِلَ الناسُ بالعَطاء

وأحسن من هذا كله وأشبه بالمدح وأدخل في طريقته قول البحتري

مَنْ شاكرٌ عنِّي الخليفةَ بالَّذِي ... أوْلاهُ من طَوْلٍ ومنْ إحسانِ

ملأتْ يداهُ يدِي وَشرَّدَ جُودُهُ ... بُخْلي فأفقرَني كما أغنَاني

حتَّي لقَدْ أفضَلْتُ منْ إفضالِهِ ... وَرَأيتُ نهجَ الجُودِ حيثُ أرَاني

وَوَثقتُ بالخَلَفِ الجَميلِ مُعجِّلا ... منهُ فأعطيتُ الَّذي أعطَاني

ومن هذا المعنى قول الآخر

رَأيتُ النَدَى في آلِ عوفٍ خليقةً ... إذا كانَ في قومٍ سوَاهمْ تخلُّقا

وَلوْ جُزْتَ في أبياتِهِمْ لتَعلَّمتْ ... يداكَ النَّدَى منهمْ فأصبحتَ مُلْقا

ولابن الرومي

يجودُ البخيلُ إذا مارآ ... كَ ويَسطو الجبانُ إذا ما يَلكْ

وأما قوله

وأخواضِ عزٍّ حومةُ الموتِ دُونَها ... وأخواضِ عُرْفٍ ليس عنهنّ زائدُ

فيشبه أن يكون ابراهيم بن العباس الصولي أخذه في قوله

لنا إبلٌ كُومٌ يضيقُ بها الفضا ... وتفترُّ عنها أرضُها وسماؤها

فمن دُونِها أن تُستباحَ دماؤنا ... ومن دُوننا أن نُستذَمَّ دماؤها

حمًى وقِرًى فالموتُ دُونَ مرامِها ... وأيسرُ خَطْبٍ عندَ حقٍّ فناؤها (١)

وقد أحسن ابراهيم في أبياته كل الاحسان فأما قوله

يكونُ غِرارًا نومُهُ من حذارِهِ ... على قُبَّةِ الإسلامِ والخلقُ راقدُ

فكثير متداول .. ومن أحسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نِمْ الخليفةُ للرَّعيةِ من إذا ... رَقدتْ وطابَ لها الكرى لم يرقُدِ

.. ومثله

ويظلُّ يحفظُنا ونحنُ بغفلةٍ ... ويبيتُ يكلؤُنا ونحنُ نيامُ

ومثله للبحتري

أربيعةَ الفَرَسِ اشكري يدَ مُنعِمٍ ... وَهَبَ الإساءةَ للمسيءِ الجاني

رَوَّعتُموا جاراتِهِ فبعثتُموا ... منهُ حميّةَ آنفٍ غيرانِ

لم تكرعَنْ قاصي الرعيةِ عينُهُ ... فتنامَ عن وِترِ القريبِ الداني

فأما قوله

---

(١) كان ثعلب يقول كان ابراهيم بن العباس أشعر المحدثين وينشد هذه الأبيات ويقول لو كان هذا لبعض الأوائل لاستجيد له ولم يرو ثعلب قط شعر كاتب غيره

كأن أمير المؤمنين محمداً ... لرأفته بالناس للناس والدُ

فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد

أحيى لنا يحيى فعالَ خالدِ ... فاصبح اليومَ كثيرَ الحامدِ

يسخو بكلِّ طارفٍ وتالدِ ... على بعيدٍ غائبٍ وشاهدِ

الناسُ في إحسانه كواحدِ ... وهوَ لهُمْ أجمعهِمْ كالوالدِ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها

خلتْ بعدَنا من آلِ ليلي المصانعُ ... وهاجتْ لنا الشوقَ الديارُ البلاقعُ

يقول فيها

ومالي إلى المهديّ لوْ كُنتُ مذنباً ... سوى حلمِه الضافي على الناسِ شافعُ

ولا هوَ عندَ السخطِ منهُ ولا الرضَى ... بغيرِ الذي يرضَى بهِ اللهُ واقعُ

تغضُّ لهُ الطرْفَ العيونُ وطرْفهُ ... على غيرِه من خشيةِ اللهِ خاشعُ

أما قوله ـ ولا هو عند السخط منه ولا الرضى ـ البيت .. فمثل قول أشجع

ولستُ بخائفٍ لأبي عليٍّ ... ومنْ خافَ الإلهَ فلنْ يخافا

.. ومثله

أمنَني منهُ ومنْ خوفهِ ... خيفتُهُ من خشيةِ البارِى

ولأبي نواس

قدْ كُنتُ خفتُكَ ثمَّ أمّنني ... منْ أنْ أخافكَ خوفُكَ اللهَ

ويشبه هذا المعنى ما روى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله انه دعا غلاماً مراراً فلم يجبه فخرج اوجده على باب البيت فقال له ما حملك على ترك اجابتي قال كسلت عن اجابتك وأمنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه ..

فأماقوله ــ تغض له الطرف العيون ــ فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق أو من تنسب [1] اليه هذه الأبيات

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَى من مهابَتِهِ   فَمَا يُكلَّمَ إلاَّ حِينَ يَبْتَسِمُ

(١) قوله أو من تنسب اليه يشير بهذا الى ان القصيدة المشهورة التي تنسب للفرزدق في سيدنا زين العابدين بن الحسين بن علي رضى الله عنهم التي قالها لما قال هشام حين سأله رجل من أهل الشام من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة وذلك ان هشاما حج في خلافة أبيه فطاف ولم يستطع استلام الحجر لشدة الزحام فلما جاء زين العابدين رضى الله عنه تنحى الناس له فقال هشام للشامي لاأعرفه فقال الفرزدق أنا أعرفه وأنشأ يقول

هذا سليل حسين نجل فاطمة   بنت الرسول الذى انجابت به الظلم

فحبسه هشام بين مكة والمدينة فقال الفرزدق أبياته التي منها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيد   وعيناً له حولاء باد عيوبها

ففكه ثم بعث اليه زين العابدين رضى الله عنه اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحتك لله تعالى لا للعطاء فقال زين العابدين إنا أهل بيت اذا وهبنا شيئاً لانستعيده فقبلها ولم يثبت للفرزدق منها غير سبعة أبيات ونسب بعضها الى أبي دهبل الجمحي .. وأما قوله يغضى حياء الخ وقوله

في كفه خيزران ريحها عبق   في كف أروع في عرنينه شمم

فقيل انهما لداود بن سلم يمدح بهما قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وبعدها

كم هاتف بك من اوج ورابية   يدعوك يا قثمَ الخيرات يا قثم

وروى من غير هذا الوجه ان عبد الله بن عبد الملك حج فقال له أبوه سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان فإياك أن تحتجب عنه وأرضه وصفته انه أشعر ذو بطن عظيم الأنف فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له إياك أن ترده فلم يأت الحزين حتى قام لينام فقال له الحاجب قد ارتفع فلما ولى ذكر فلحقه فقال ارجع

مجلس آخر ٤٠

[تأويل آية].. إن سأل سائل عن قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه).. وقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوّله قوم من انه يحول بين الكافر والايمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة فى اجابته .. الجواب قلنا أما قوله تعالى (يحول بين المرء وقلبه) ففيه وجوه .. أوّلها أن يريد بذلك تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث من الله عزوجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يستوفى به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكأنه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة

فاستأذن له فأدخله فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفي يده قضيب خيزران وقف ساكتاً فأمهله عبد الله حتى ظن انه قد أراح ثم قال له السلام عليك رحمك الله أولا فقال عليك السلام وحيّا الله وجهك أيها الأمير انى قد كنت مدحتك بشعر فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهاءك أذهلنى عنه فأنسيت ما كنت قلته وقد قلت فى مقامي هذا بيتين فقال ما هما فقال

فى كفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فما يُكلم إلاّ حين يبتسم

بتقديم الأول على الثاني فى هذه الرواية فأجازه فقال اخدمنى أصلحك الله فانه لاخادم لي فقال اختر أحد هذين الغلامين فأخذ أحدهما فقال له عبد الله أعلينا ترذل خذ الأكبر والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها عليّ بن الحسين رضى الله عنهما وهو غلط ممن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح به مثله وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد

بقلوبكم ويقوّى ذلك قوله تعالى (وأنه اليــه تحشرون) •• وثانيها أن يحول بين المرء وقلبه بازالة عقله وإبطال تمييزه وان كان حياً وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه انه بغير عقل قال الله تعالى (إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) •• قال الشاعر

وَلِيَ أَلفُ وجهٍ قد عَرَفْتُ مكانَهُ　　ولكنْ بلاَ قلبٍ الى أينَ اذهَبُ

وهذا الوجه يقرب من الأول لانه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعات قبــل فوتها لانه لافرق بين تعذر التوبة بانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بازالة العقل •• وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربه من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وان الضمائر المكتومة له ظاهرة والخفايا المستورة لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ونحن أقرب اليــه من حبل الوريد) ونحن نعلم انه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه واذا كان عزوجل هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه معلوم في الشاهد ان كل شئ يحول بين شيئين فهو أقرب اليهما •• ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف وان كان القرب الذي عناه جلّت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيراً لفظ القــرب على غير معــنى المسافة فيقولون فلان أقرب الى قلبي من فلان وزيد منى قريب وعمرو منى بعيد ولا يريدون بذلك قرب المسافة •• ورابعها ما أجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهــم الخوف فأعلمهم تعالى انه يحول بين المرء وقلبــه بانه يبدله بالخوف امناً ويبدل عدوهم بظنهم انهم قادرون عليهــم وغالبون لهم الجبن والخور •• ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين مايدعوه اليــه قلبه من القبائح بالأمر والنهي والوعد والوعيد لانا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيــه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ولا عن مواقعتــه رادع فكان التكليف حائلا بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقعته وليس يجب في الحائل أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منّا على غيره في أمر كان قد هم به

وعزم على فعله أن يجتنبه والمنبه على ان الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال منعه منه وحال بينه وبين فعله •• قال عبيد الله بن قيس الرقيات

حالَ دُونَ الهوَى وَدُو نَ سُرَى اللّيلِ مُصعَبُ

وسِياطٌ على أكُـ ـفِّ رِجالٍ تُقَلَّبُ

ونحن نعلم انه لم يحل إلاّ بالتخويف والترهيب دون غيرهما •• فان قيل كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية •• قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدعون اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقبحات فاعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار وما يجري مجراهما يحول بين المرء وبين ماتدعوه اليه نفسه من المعاصي ثم ان المآب بعد هذا كله والمنقلب الى ماعنده فيجازي كلاً باستحقاقه •• فأما قوله تعالى (اذا دعاكم لما يحييكم) ففيه وجوه •• أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لان تلك هي الحياة الدائمة الطيبة التي يؤمن من تغيرها ولا يخاف انتقالها فكأنه تعالى حث على اجابته التي تكسب هذه الحال •• وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام فيما يأمرهم به من قتال عدوّهم ودفعهم عن حوزة الاسلام وأعلمهم ان ذلك يحييهم من حيث كان فيه قهر للمشركين وتقليل لعددهم وفل لجدهم وحسم لاطماعهم لانهم متى كثروا وقووا استلانوا جانب المؤمنين وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن ههنا كانت الاستجابة له عليه الصلاة والسلام تقتضي الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) •• وثالثها ما قاله قومٌ من ان كل طاعة حياة ويوصف فاعلها بانه حي كما ان المعاصي يوصف فاعلها بانه ميت والوجه في ذلك ان المؤمن الطائع لما كان منتفعاً بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصي لاينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منغص الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحياته •• ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة في الحكم لافي

الفعل لانا قد علمنا انه عليه الصلاة والسلام كان مكلفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين لملته وقتالهم وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شروطها فكأنه تعالى قال فاستجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء من حيث تعبّد عليه الصلاة والسلام بقتالكم وقتلكم فاذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) وانما أراد تعالى إنا يجب أن يكون آمناً وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع .. فأما المجبرة فلا شبهة لهم في الآية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان بل ظاهر الآية لا يقتضي أن يحول بينه وبين أفعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس للايمان ولا للكفر ذكرٌ ولو كان للآية ظاهرٌ يقتضي ماظنوه وليس لها ذلك ولا يضر قناعته بأدلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين ماأمر به وأراده منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا أحمد بن عمرو بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني عمرو بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصن بن حذيفة بن بدر وجعه من طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت أهون مما أجد فأيكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ بأ كبرهم فقال قم فخذ سيفي واطعن به حيث آمرك ولا تعجل قال يا أبتاه أيقتل المرء أباه فأتي على القوم كلهم فأجابوه بجواب الأول حتى انتهى الي عيينة فقال يا أبتاه ليس لك فيما تأمرني به راحة ولي بذلك طاعة وهو هواك قال بلى قال فأمرني كيف أصنع قال الق السيف انما أردت ان أعلم أيكم أمضى لما آمرُ به فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال القوم انه سيقول في ذلك أبياتاً فأحضروه فلما أمسى قال

وَلُّوا عُيَيْنَةَ من بَعدِي أُمورَكُمْ ۝ واستَيقِنُوا أنهُ بَعدِي لكُمْ حامِ

إماهلكتُ فاني قد بنيتُ لكُمْ ۝ عِزَّ الحَياةِ بِمَا قَدَّمْتُ قُدَّامِي

واستوسقوا للتي فيها مروءتكم ... قود الجياد وضرب القوم في الهام

والقرب من قومكم والقرب ينفعكم ... والبعد إن باعدوا والرأي للرائي

ولي حذيفة إذ ولى وخلفني ... يوم الهباءة يتيما وسط أيتام

لا أرفع الطرف ذلا عند مهلكه ... ألقي العدو بوجه خده دامي

حتى اعتقدت لوى قومي فقمت به ... ثم ارتحلت إلى الجفني بالشام

لما قضي ماقضى من حق زائره ... عجت المطي إلى النعمان من عامي

أسمو لما كانت الآباء تطلبه ... عند الملوك فطرفي عندهم سامي

والدهر آخره شبه لأوله ... قوم كقوم وأيام كأيام

فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم ... من بين بان إلي العليا وهدام

قال ثم أصبح ودعا بني بدر فقال لوائي ورياستي لعيينة واسمعوا مني ماأوصيكم به لايتكل آخركم على أولكم فانما يدرك الآخر ماأدركه الأول وانكحوا الكفء الغريب فانه عز حادث واذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدراً فان كل مورد معروف واصحبوا قومكم بأجمل أخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزرى بالرئيس المطاع واذا حاربتم فاربعوا ثم قولوا الصدق فانه لا خير في الكذب وصونوا الخيل فانها حصون الرجال وأطيلوا الرماح فانها قرون الخيل وأعزوا الكبير بالكبر فاني بذلك كنت أغلب الناس ولا تغزوا إلا بالعيون ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح واعطوا على حسب المال واعجلوا الضيف بالقرى فان خيره أعجله واتقوا فضيحات البغي وفلتات المزاح ولا تجيروا على الملوك فان أيديهم أطول من أيديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات حصن فأخذ عيينة الرياسة .. وقال

أطعت أبا عيينة في هواه ... ولم تخرج صريحتي الظنون

وَقَدْعَرَضَ الرَّئيسَ على بنيهِ   فقَالَ القَوْمُ هذَا لاَ يكُونُ
ستَحيا أو تَموتُ فطَاوَلوهُ   وقتلُ المرْء والِدَهُ جنُونُ
فلمْ أقتلْ بِحَمْدِ اللهِ حِصْنا   وكُلُّ فتىً سيُدْرِكُهُ المنُونُ
ولمْ أنكلْ عليهِ وكُلُّ أمرٍ   اذَا هوَّنتَهُ يوماً يهُونُ
فإنْ يكُ بَدْء هذَا الأمرِ غثاً   فآخِرُهُ بَني بَدْرٍ سَمينُ

وحكي عمر بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن حذيفة وانما أصابته اللقوة فجحظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة واذا عظمت عين الانسان لقبوه ابا عيينة وأبا العيناء ٠٠وروى قيس بن أبي حازم أن عيينة بن حصن بن حذيفة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا أحمق مطاع ٠٠ وروى أيضاً أنه كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام وهو صبي فيرى لسانه فيهش له فقال له عيينة أراك تضع هذا بهذا فوالله انه ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله وسلم انه لا يرحم من لا يرحم ٠٠ ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار من شعره قوله من قصيدة أولها

صَحَا بَعْدَ جَهْلٍ فاستَراحتْ عوَاذلُهْ   وأقصَرَ عَنْهُ حينَ أقصَرَ باطلُهْ
وَمَنْ مدَّ في أيامهِ فتأخَّرتْ   منيَّتُهُ فالشَّيْبُ لاَ شكَّ شاملُهْ
هُوَ المرْء إما دينُهُ فَهُوَ مانعٌ   صَوْنٌ وإما مالُهُ فهُوَ باذلُهْ
أمَرُّ وأحلى ما بَلاَ النَّاسُ طَعْمَهُ   عِقَابُ أميرِ المؤمنينَ ونائلُهْ
أبيٌّ لمَا يأبي ذَوُو الحزْمِ وَالتُّقَي   فَعُولٌ إذَا ما جَدَّ بالأمْرِ فاعلُهْ
تَرُوكُ الهوَى لاَ السُّخْطُ منهُ وَلاَ الرِّضَى
لَدَى مَوْطِنٍ إلاَّ على الحَقِّ حاملُهْ

يَرَي أَنَّ مُرَّ الحَقِّ أحلى مَغَبَّةً ... وَأَنجا وَلو كانتْ زُعافاً مناهلهْ

فإنَّ طليقَ اللهِ من هوَ مُطلقٌ ... وَإنَّ قتيلَ اللهِ منْ هُوَ قاتلهْ

وَإِنكَ بَعْدَ اللهِ للحَكَمُ الذى ... تُصَابُ بِهِ منْ كُلِّ حَقٍّ مفاصلهْ

..أما قوله—ومن مد فى أيامه فتأخرت * منيته فالشيب لاشك شامله—..فمأخوذ من قول طريح بن اسمعيل الثقفى

وَالشَّيْبُ غايةُ منْ تأَخَّرَ حَيْنُهُ ... لاَ يَستَطِيعُ دِفاعَهُ منْ يَجْزَعُ

والأصل فى هذا قول أمية بن أبي الصلت

منْ لمْ يَمُتْ عَبطةً يَمُتْ هَرَماً ... وَالمَوْتُ كأْسٌ والمَرْءُ ذائقُها

ويشبه ذلك قول الآخر

قُلْ لِعرْسِى ليسَ شَيْبِي بِعجَبْ ... منْ يَعِشْ يا أُمَّ عَمارٍ يَشِبْ

ومثله قول أبي العتاهية

مَنْ يَعِشْ يكبَرْ وَمن يكبَرْ يَمُتْ ... وَالمَنَايا لاَ تُبَالى مَنْ أَتَتْ

ويشبه قول البحتري

وَلاَ بُدَّ من تَرْكِ إحدَى اثْنَتَينِ ... فإمَّا الشَّبابُ وامَّا العُمُرْ

وقوله

وَالشَّيْبُ مَهْرَبُ منْ جارَى مَنِيَّتَهُ ... وَلاَ نَجَاءَ لهُ منْ ذَلكَ الهَرَبِ

وقريب منه قول ابن المعتز

قالَتْ كَبِرْتَ وَانْتَفَيْتَ مَنَ الصِّبَا ... فَقُلْتُ لَها ماعِشْتُ إلاَّ لأكْبَرَا

ولبعضهم

وَلاَ بُدَّ منْ موتٍ فإما شَبِيبةٌ ... وَإمَّا مَشِيبٌ وَالشَّبِيبةُ أَصْلَحُ

معنى قوله — والشبيبة أصلح — إن الانسان اذا مات شاباً كان أكثر الحزن عليه

والأسف على مفارقته فاذا أسن برم به أهله وهان عندهم فقده .. فأما قوله

هوَ المرء إما دِينُهُ فهوَ مانِــعٌ   صوْنٌ وَإما مالهُ فَهُوَ باذِلُه

فمناه متكرر في الشعر كثير جدًا .. وأحسن شعر جمع بين وصف الممدوح بمنع ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد الأنصاري

يُذَكِّرُنِيكَ الجودُ وَالبُخلُ وَالنُّهى   وَقَوْلُ الخنا وَالحِلمُ وَالعِلمُ وَالجهلُ

فالقاكَ عنْ مذمومِها متنزِّهاً   وَالقاكَ في محمودِها وَلكَ الفضلُ

وَأحمَدُ من أخلاقِكَ البخلَ إنهُ   بعِرضكَ لاَ بالمالِ حاشاكَ البخلُ

وقد أحسن البحتري في قوله

بَلَوْنَا ضرائبَ منْ قدْ نَرَى   فما إنْ وَجدْنا لِفتحٍ ضَرِيبا

تَنَقّلَ في خُلُقَيْ سُؤْدَدٍ   سماحاً مرجّيً وباساً مهيبا

فكالسيفِ إنْ جئتهُ صارخاً   وَكالبَحرِ إنْ جئتهُ مستَثيبا

فأما قوله — تروك الهوى لا السخط منه ولا الرضى — البيت .. فمعنى متداول مطروق في الشعر وقد ذكره هو في قوله

إذَا هُنَّ القينَ الرِّحالَ ببابِهِ   حططْنَ بهِ ثقلاً وَأدرَكْنَ مغنماً

إلى طاهرِ الأثوابِ ما نالَ في رِضىً   وَلاَ غضبٍ مالاً حرَاماً وَلاَ دَما

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات

ثبتُ الجنانِ إذَا اصطكّتْ بمظلمةٍ   في رَحلِه ألسُنُ الأقوامِ وَالرُّكَبُ

لاَ المنطقُ اللّهوُ يزكو في تبسمِهِ   يوماً وَلاَ حجّةُ الملهوفِ تُستلَبُ

كأنما هوَ في نادِي قبيلتهِ   لاَ القلبُ يهفو وَلاَ الاحشاءُ تضطرِبُ

وَتحتَ ذاكَ قضاءٌ حزُّ شفرَتِهِ   كما يعضُّ بظهرِ الغارِبِ القتَبُ

لاَ سَوْرَةٌ تُتَّقَى منهُ وَلاَ بَلَهٌ ... وَلاَ يُخَافُ رِضىً منهُ وَلاَ غَضَبُ

ومثله قول البحترى فى ابن الزيات أيضاً

وَجهَ الحَقّ بينَ أخذٍ وإعطا ... ءوقصـدٍ في الجَمع والتبديدِ

وَاستَوَى النَّاسُ فالقريبُ قريبٌ ... عندَهُ وَالبعيـدُ غيرُ بَعيدِ

لاَ يميلُ الهوىَ بهِ حينَ يُمضي الـ ... أمرَ بينَ المقلي وَبينَ الوَدُودِ

وَسَوَاءٌ لديهِ أبناءُ إبرَا ... هيمَ في حكمهِ وَأبناءُ هُودِ

مُستَرِيحُ الأحشاءِ من كلّ ضغنٍ ... باردُ الصَّدرِ من غليلِ الحقُودِ

فأما قوله ـ وان قتيل الله من هو قاتله ـ فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد لعنهما الله

إنَّ الذى عاش ختَّاراً بذمَّتهِ ... ومات عبداً قتيلُ اللهِ بالزَّابِ

ـ أما قوله وانك بعد الله للحكم الذى تصاب به من كل حق مفاصله ـ . . فيشبه قول أبي تمام فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات . . وأجمع العلماء ان هذه الأبيات أحسن وأتم من جميع ما قيل فى القلم

لكَ القلمُ الأعلى الَّذى بشباتِهِ ... تُصابُ من الأمرِ الكُلَى وَالمفاصلُ[1]

لهُ الخلَوَاتُ اللاءِ لولاَ نجيُّها ... لما احتفلتْ للمُلكِ تلكَ المحافلُ[2]

---

(١) ـ الشباة ـ حد القلم وغيره ومثلها الشبا بالفتح والقصر . . وقوله ـ تُصابُ من الأمر ـ روى أيضاً ينال من الأمر ـ والكلى ـ جمع كلية وكلوة جاء بالياء والواو ـ والمفاصل ـ جمع مفصل وهو ملتقى كل عظمين . . أراد ان القلم يطابق المفصل ويصادف الحز وبه ينال مقاصد الأمور فانه ينال بالأقلام مايعجز عنه مجالدة الحسام

(٢) قوله ـ له الخلوات ـ يعنى ان أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السر يخلي

لُعَابُ الأَفَاعِي القَاتِلاَتِ لُعَابُهُ ۞ وَأَرْيُ الجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ(١)

هُم الملوك المجالس للمشورة وبهم يحصل نظام الملك ـ والنجي ـ المسارر والتناجي المسارة .. وأراد به المشير فان المشورة تكون سراً غالباً ـ والاحتفال ـ حسن القيام بالأمور ـ والمحافل ـ جمع محفل كمجلس ومقعد وهو المجتمع

(١) قوله ـ لعاب الأفاعي ـ الخ اللعاب مايسيل من الفم ـ والقاتلات ـ صفة كاشفة للأفاعي ذكرها تهويلا ـ والأري ـ بفتح الهمزة وسكون الراء مالزق من العسل في جوف الخلية ـ والجنى ـ بفتح الجيم والقصر العسل والاضافة للتخصيص فان الأري يأتي أيضاً بمعنى مالزق بأسفل القدر من الطبيخ وان جعلت الأري بمعنى العسل والجنى بمعنى كل مايجنى من ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة ـ واشتارته ـ استخرجته يقال شار فلان العسل شوراً وشياراً وشيارة اذا استخرجه وكذلك أشاره واشتاره ـ وأيد ـ جمع يد ـ والعواسل ـ جمع عاسلة أي مستخرجة العسل والعاسل مستخرج العسل من موضعه والمصراع الأول بالنسبة الى الأعداء والثاني بالنسبة الى الأولياء .. يعني ان لعاب قلمه بالنسبة الى الأعداء سم قاتل وبالنسبة الى الأولياء شفاء عاجل .. فقوله لعاب مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعي خبر مقدم وأري معطوف على الخبر وجاز هذا مع تعريف الطرفين لأن المعنى دال عليه لان اللعاب القاتل انما هو لعاب الأفاعي فلعاب القلم مشبه به في التأثير وعلم من هذا انه ليس من التشبيه المقلوب فان لعاب القلم قد شبه بشيئين وهو السم والعسل باعتبارين وان جعلته من التشبيه المقلوب كان من عطف الجمل والخبر في المعطوف محذوف وفيه تكلف اه من شرح الشواهد الكبرى .. فقوله السابق وان جعلت الأري بمعنى العسل والجنى بمعنى كل مايجنى من ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة .. قلت ان لزم ذلك فلا محذور فيه فان ابن مالك نص في التسهيل على جواز اضافة الصفة الى الموصوف والموصوف الى القائم مقام الوصف وعلى كل حال فهي مسئلة خلافية فذهب البصريون الى منع ذلك مطلقاً وتأولوا ماورد منه وذهب الكوفيون الى الجواز اذا اختلف اللفظان من غير تأويل

لهُ رِيقةٌ طلٌّ ولكنّ وقعها ... بآثارِهِ في الشّرقِ والغربِ وابلُ[1]

فصيحٌ إذا استنطقتهُ وهو راكبٌ ... وأعجمُ إن خاطبتهُ وهو راجلُ

اذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغتْ

عليهِ شعابُ الفكرِ وهيَ حوافلُ[2]

أطاعتهُ اطرافُ القنى وتقوّضتْ ... لنجواهُ تقويضَ الخيامِ الجحافلُ[3]

اذا استغزرَ الذهنَ الذكي وأقبلتْ ... أعاليهِ في القرطاسِ وهيَ أسافلُ[4]

وقد رفدتهُ الخنصرانِ وسدّدتْ ... ثلاثَ نواحيهِ الثلاثُ الأناملُ[5]

محتجين بنحو قوله تعالى (حق اليقين • ولدار الآخرة • بجانب الغربي) وغير ذلك

(١) قوله ـ له ريقة طل ـ ريقة مبتدا وطل وصفه والظرف قبله خبره والطل المطر الضعيف ـ وإوابل ـ وكذا الوبل المطر الشديد الضخم القطر •• يقول إن ما يجرى من القلم حقير تافه في ظاهر الأمر لكن له أثر خير عم المشارق والمغارب

(٢) قوله ـ اذا ما امتطي الخمس اللطاف ـ الخ •• أراد بالخمس اللطاف الأصابع الخمس ـ والشعاب ـ جمع شعب بكسرها الطريق في الجبل ـ والحوافل ـ جمع حافلة يقال حفل اللبن وغيره حفلا وحفولا اجتمع واحتفل الوادي امتلأ وسال

(٣) قوله ـ أطاعته أطراف القنى ـ الخ •• هو جواب اذا وروى أطاعته أطراف الرماح ـ وتقوضت ـ يقال تقوضت الصفوف اذا انتقضت وأصله من تقويض البناء وهو نقضه من غير هدم ـ والنجوى ـ السر وتقويض أى كتقويض الخيام ـ والجحافل ـ فاعل قوضت وهو جمع جحفل بتقديم الجيم على المهملة كجعفر الجيش

(٤) قوله ـ اذا استغزر الذهن ـ استغزره وجده غزيرا وفاعله ضمير القلم ـ والذكي ـ المتوقد وروى الخلي بدله والخلي الخالي وانما تكون أعالي القلم أسافل حين الكتابة

(٥) قوله ـ وقد رفدته الخنصران ـ الخ رفدته أعانته ـ وسددت ـ قومت

رَأَيتَ جَلِيلاً شأْنهُ وهُوَ مُرْهَفٌ ضَنًى وسَمِينًا خَطْبُهُ وهُوَ نَاحِلُ [١]

(١) قوله ــ رأيت جليلا شأنه ــ الخ ٠٠ رأيت جواب اذا وشأنه فاعل جليلا وجملة ــ وهو مرهف ــ حال وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوه اذا رققت شفرته ويقال أيضاً رهفته رهفاً فهو رهيف ومرهوف ــ وضنى ــ تمييز وهو مصدر ضنى من باب تعب اذا مرض مرضاً ملازماً ــ وسميناً ــ معطوف على جليلا ــ وناحل ــ من نحل الجسم ينحل بفتحهما نحولا سقم ومن باب تعب

تم وللّه الحمد الجزء الثاني من كتاب أمالي السيد المرتضي ٠٠ وقد صُحح هذا الجزء من أوله الي نهاية الملزمة الخامسة عشر منه بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني ومن ثم الى آخره بتصحيح حضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا وقد بذلا غاية جهدهما فيه تصحيحاً وضبطاً وتفسير ما يحتاج الى إيضاح غامضه أحسن الله اليهما وشكر مسعاهما ٠٠ وقد تم ولله الحمد طبعه في أوائل جمادي الثانية سنة ١٣٢٥ هجريه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فهرس الجزء الثاني من أمالي السيد المرتضى

صحيفه

صحيفه

﴿ تم الفهرس ﴾